تلويحة لأحلام ناجية

شعرية عراقية جديدة

إعداد وتقديم:
حسام السراي



تلويحة لأحلام ناجية

شعرية عراقية جديدة

أنطولوجيا الجماعة التأسيسيّة ما بعد 2003

A Gesture for Surviving Dreams

إعداد وتقديم: حسام السراي

لوحة الغلاف والتخطيطات الداخلية: الفنان ضياء العزاوي
خط عنوان الكتاب: د. فلاح حسن الخطاط
تصميم الغلاف: كوكب السياب
التصميم الداخلي: حسام فلاح الخطاط

الطبعة الأولى: بيروت ـ لبنان، 2018

First Edition: Beirut _ Lebanon, 2018



لبنان ـ بيروت / الحمرا

تلفون: 345683 1 961+ / 541980 1 961+

بغداد ـ العراق / شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون: 07830070045 / 07810001005

daralrafidain@yahoo.com
info@daralrafidain.com
www.daralrafidain.com
dar alrafidain
Dar.alrafidain
@daralrafidain_1دار الرافدين

تنويه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 607 - 02 - 3

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 990 لسنة 2018



شعرية عراقية جديدة

أنطولوجيا الجماعة التأسيسيّة ما بعد 2003

إعداد وتقديم:

حسام السراي



www.daralrafidain.com

تقديم

لا يصمد شيء في العراق، إلا بعض القصائد والأعمال الفنيّة التي عَبَرت- مصادفة- حقولاً من ألغام السياسة وعقائد العنف والتدمير الشامل، ليست الأنهر والأهوار والبيوت هي وحدها التي جُرفت ومُحيت أساساتها، العقول والانتماء إلى قيم مثلى، ومُضي الإنسان في مسارب حياته مستقلاً وحرّاً، هذه أيضاً جرى تجريفها لعقود مثل نهر خائف سلّم روافده إلى الجفاف؛ لأنّ العاصفة العراقيّة منذ أن أدخلت يوميات الناس في منظومة التهليل للحروب وتحشيد الجموع والسطو على كلّ ما يعزّز الاختلاف بين أفرادها، أخذت في الوقت ذاته الفنون الإبداعيّة إلى نطاق أضيق من عملية الإنتاج التي تحتاج أصلاً، غير الحسّ الفنيّ بالطبع، إلى مساءلة الذات، من دون تزويق في الكتابة، وإنّما بصهر كلّ الروابط المعنوية واللفظيّة في سياق من البناء اللغوي؛ ليكون المعنى الشعريّ حصيلة تلاقحين بين ما هو داخلي وخارجي، بين الشاعر وعالمه، هذا فيما يخصّ الإبداع المكتوب بإطار عام.

وإزاء التمرد الروحي للمبدع الحرّ، فإنّ الانطباع الافتراضيّ الأوّل، أنّه لم ولن يتقبّل الاستسلام لعاصفة تضرب زمانه ومكانه على الدوام؛ لتكون دائماً هي القدر والمصير المُنتظر، لعلّه يناور بتحدّيه فيخسر أنفاسه، ولعلّه يهرب من

أرض العاصفة ويرفضها من محله الجديد. ومن بين المشهد ككلّ من يستسلم إليها، وهو ما حصل لثلاثة عقود، ممثّلاً بتجارب عدد غير قليل من الكتّاب الذين راحوا منصاعين بالاستجابة والتنظير لما يسمى بـ «أدب الحرب»، إذ معهم غدت سواتر الجبهات طريقاً إلى الجنان، وصارت الرصاصة مَجازاً عن زهرة يحملها مقاتل في سبيل الوطن، ذلك الوطن الذي سيلفّ تابوت المُضحي بعلم الشهادة ومن ثمّ ينساه، من دون وقفة مع هذه الحرب إن كانت عبثيّة أم لا، ومن دون مراجعة الأسباب التي بفعلها طُحنت أجيال كاملة وصارت فائضة عن الذاكرة، في ظلّ الموت المستمرّ وحفلات دم وتخوين هي بلا نهاية.

نحن هنا لسنا في منزلة من يجلد من سبقنا إلى فعل الكتابة، بقدر ما نحاول معاينة درجة اقتراب هذا الكاتب من شروط الخلق الفنيّ، والتي منها أن يعبّر الكاتب نفسه عمّا يفترض بضميره التعبير عنه، شريطة ألا يكون التجسيد الفنيّ لديه نقلاً حرفيّاً، بل بالإبقاء على خواص التجريب وإثارة السؤال في نصوص لا مُسلمات أو قناعات يقينيّة فيها؛ لتكون حتّى قيمة النصّ نفسه خاضعة للاختبار ومجسات التلقي، فكيف بمن وهب اسمه وتاريخه لإرضاء حاكم أو سلطة ؟

ربّما سيقول من يُطالعنا إنّنا نضع مسطرة بأحكام ووحدات قياس صعبة لتقييم التجارب، والحقّ إنّها أحكام، منطلقاتها أستيطقيّة، تستقرئ مستويات التشوّه الذي لحق بالحواس، سواء الحواس التي تتلقى الكتابة الأدبيّة أولاً، كالبصر في حالة القراءة، أم تلك التي تسمع نتاجات تحطُّ من ذائقة صاحبها، حيث قصائد الشعر الشعبيّ، وقصائد أخرى لم تكتسب من العمود الشعريّ إلا فخامة الصياغة، جميعها كانت جاهزة -دائماً- على المنصات للتجييش وتبرير سحق الأبرياء.

كم حدث هذا قبل عقود؟ فكتب أدب الحرب تحت عنوان «ملاحم لتمجيد البطولة والفداء»، ولم يُتح غير الاندماج مع سياقٍ من التبرير للموت، والتغنّي بـ «القيادة الميمونة وعلى رأسها..»، وما إلى ذلك من الخطب والكليشيهات الجاهزة التي منحت متبنّيها الأمان والخلاص من المحاسبة والملاحقة.

لغة السلاح هي من يتدخل دائماً؛ ليكون تغيير النهج العام والنظام السياسيّ على يدها، فالانقلاب أو «الثورة المسلحة» في الخمسينيات والستينيات، كانا عنواناً لقيادة البلد في تلك المرحلة، ومن ثمّ تصدّرت المشهد قوّة التصفية التي هي سيف مسلط بيد الأحادية الحزبيّة في السبعينيات، للسيطرة على المجتمع بمناظر الدم وأخبار الإعدامات، حيث المخبرون

والذيول، لم يقدّموا الوشايات فقط بل أدّوا مهمة بثّ الرعب بين عموم الناس، بعد تصفية ممنهجة للخصوم اليساريّين والإسلاميين وحتّى من هم في صفوف النظام وحزبه من قوميين يخالفونه في منهج إلغاء المنافسين والخصوم.

كانت حقبة الثمانينيات أكبر برهان على أنماط التدمير الممنهج للذات البشريّة، وتتالت بالطبع مراحل ذلك، من تخويف عامّة الناس، إلى مصادرة الحقيقة، ومن ثمّ تسويق خطاب على كلّ الأفراد الإيمان به والترنّم بمفرداته في المدارس والجبهات وفي مسيرات الولاء. كانت الثقافة والشعر على وجه الخصوص أوّل الضحايا في مجمل هذه المحصلة، إذ في ظلّ هذا الجوّ استحالت فكرة المعارضة العلنيّة سواء على المستوى الفنيّ- نصيّاً- أم على الصعيد الحياتي- انسانياً-، فليس لك إلا أن تصمت كي تبقى على قيد الحياة.

كان مطلوباً ألا يفكّر أحد خارج العلبة أو السجن الكبير الذي وضعت فيه البنية الاجتماعيّة العراقيّة كلّها، بالتالي جُيّرت المواهب نحو كتابة محدّدة لا تقبل التأويل والاختلاف.

في ضوء ذلك انهدمت قدرة المجتمع على المبادرة والخلق، وسار الجميع- إلا ما ندر- في ركب التدجين والخنوع، فكان الخراب للوجدان العراقيّ عميماً، لكن لا أحد في الداخل استطاع التصريح به أو الإعلان عنه إلا سرّاً.

جاءت الدبابة الأميركيّة في نيسان ٢٠٠٣، باسم التغيير وبناء «عراق جديد»، وليس من تسمية أخرى في الأدبيات السياسيّة لاجتياح بلاد بأكملها إلا بأنّها احتلال، نعم كنّا نطمح إلى زوال البعث ونظامه، لكن ليس على يد الأميركيّين، الذين أثبتت الأحداث في بغداد إنّهم ليسوا بحريصين على بناء نظام ديمقراطي أنموذجي؛ بحكم طبيعة القوى المتشدّدة والطائفيّة التي دعمتها الولايات المتحدة في إدارة البلد منذ سقوط النظام السابق في العراق.

إذن كانت عربة «الهامفي» والمجنزرة الأميركيّة، هي عنوان التغيير الجديد، الذي سيفرض فيما بعد نظاماً وقواعدَ من الأعلى، ولم يكن مهماً بالمطلق في الحسابات السياسيّة الكبرى للوافد الأمريكي ومن جاء معه جذلاً متبختراً، أن يلتفتوا لحجم الهاوية الاجتماعيّة السحيقة التي قبعنا فيها منذ العام ١٩٩١ وبقيت تلاحقنا بنتائجها ومظاهرها.

وهنا لا بدّ من تعريج على هذا العام، ١٩٩١، الذي من عنده بدأ تردّي انتماء الفرد إلى العراق، بعد سلسلة من أشواط التجويع والقمع وغبن الحقوق؛ فالذي تنتزع منه إنسانيته، لا تتوقع منه أن يكون مخلصاً لأي فكرة، وبضمنها فكرة الإيمان بالبلد نفسه، وهنا لا مجال

للشعارات، إنّما نتحدّث عن مختبر داخليّ هو الكينونة المسحوقة للعراقيّ التي جعلته يقبل بالكفاف والعوز والرضا بأن يُقتلع من أرضه وأهله وصداقاته، مهاجراً ومغترباً، أو يبقى مواجهاً انكفاءَهُ وتقهقره.

مع انكشاف كلّ التواريخ السابقة للخذلان، وفشل السياسة العراقيّة في بناء الإنسان وإنماء قدراته، وفي جعله حرّاً لا مقموعاً وذليلاً، صارت الطريق معبّدة بعد نيسان ٢٠٠٣، أمام من يريد القفز من السفينة القديمة والمتهالكة التي مسك بشراعها لعقود كلّ من التابع والمتبوع.

لكن هذا القفز ليس سهلاً ويسيراً كما نثبت هنا زعمنا عنه ببضعة كلمات في سطر من الورقة، إنه نأيٌ صعب عن واقع تكسّرت فيه أوهام «الوطن الواحد»، والانوجاد أمام معادلة جديدة بصعود الطائفيّة والمناطقيّة إلى واجهة الحياة السياسيّة والاجتماعيّة في بلاد الرافدين، كارتداد متتابع إثر هنات في تأسيس الدولة العراقيّة؛ بسبب النسق الدموي للتغيير ويد العسكر فيه على مدار تاريخ العراق المعاصر.

ردّد شعراء من أجيال سابقة، ارتباطاً بالأحوال العامّة لغالبية الكتاب، عبارة مفادها: إنّ الشعر فنّ فقير يختاره الفقراء. وفي هذا إعمام لا يصلح للأزمان كلّها؛ على اعتبار أنّ من لم يجد أمامه عوداً أو آلة غيتار ليس بمستطاعه إلا أن يكون شاعراً؛ لأنّ الشعر لا يستلزم بَعدَ الموهبة طبعاً، غير القراءة.

هذا الزعم لم يصلح مع مجموعة من الشعراء ظهروا بعد نيسان ٢٠٠٣، في المجمل هم كانوا خريجي كليات علميّة وإنسانيّة، لم يكن الشعر الفنّ الوحيد المتاح أمامهم، ذهبوا إليه بإرادة ليس فيها تسليم بمنطق «العرض والطلب»، أو كون الشعر أكثر الفنون شيوعاً وربّما سهولة، طبعاً كلا، بينهم من كان يمكنه أن يصبح مبدعاً في مجال أو فنّ آخر، ففيهم من تربّى في بيئة ليس من المستحيل فيها توفّر غيتار أو آلة بيانو، خاصّة وإنّ بينهم من مرّ بمدرسة الموسيقى والباليه، أو من أخذه دافعه نحو الرسم وربّما درس أولياته وكيفية تخطيط التصاميم الهندسيّة على الورق، وكان غيرهم ممّن سار في محطّات صباه بحثاً عن طموحات ثانية في المسرح وغيره.

أتى أفراد هذه المجموعة إلى منطقة القصيدة، عن وعي فيه دلالات الاختيار لا القبول بالأقدار، معهم لم ينفع عدّ الشعر الفنّ الأفقر، بل الفنّ الذي يأخذك إلى رحلة لا تعرف النهاية، الاختلاف بين الأفراد الفاعلين فيها طبيعيّ ومهمّ للأدب العراقيّ أيضاً، وخصوصية كلّ تجربة على حِدَة سمة أيّة جماعة لا تلتقي على أساس نَفَسٍ عصبوي أو اعتبارات غير إبداعيّة، كلّ منهم له خطوه في الوصول إلى المعنى وتمثيل رؤيته الشخصيّة.

لكن أيُّ معنى ابتغاه هؤلاء الشعراء؟ وهم في الأغلب من مواليد الثمانينيات وقلّة منهم ولدوا نهاية السبعينيات، أي الذين عبروا خمسة حروب عراقيّة، واحدة منها مع إطلالتهم على الحياة (الحرب العراقيّة الإيرانيّة ١٩٨٠- ١٩٨٨)، والثانية في صباهم ١٩٩١ (أي مع احتلال العراق للكويت والحملة العسكريّة على العراق من ٣٠ دولة بقيادة الولايات المتحدة الأميركيّة)، والثالثة مع بلوغهم (أي حرب نيسان ٢٠٠٣ وما تلاها من سقوط للنظام السابق واحتلال للعراق)، والرابعة مع نجاحهم في تقديمهم لأنفسهم (الحرب الطائفيّة ٢٠٠٦)، والخامسة مع تعمّق التواصل والتعاضد الثقافيّ فيما بينهم (الحرب على داعش ٢٠١٤).

الشيء الجوهري هنا، أنّ هؤلاء الشعراء لم يضعوا مكياج الخديعة على الصورة البشعة للحرب، بكلّ ما فيها من هدم وضياع، أكانت حرباً جديدة أم قديمة لم تنفك البلاد من آثارها.

هل خرجوا سالمين من تشوّهات كلّ هذا الرصاص والديناميت وقصف الطائرات والنزوح والمقاتل الطائفيّة والقرارات العليا الهوجاء؟ ذلك كلّه الذي صار جزءاً من ذاكرتهم، لا يمكن حذفه وهو المعشّش، أو اقتطاعه وتجاهله وهو الذي يستلزم وقفة وتحليلاً وتصدّياً أيضاً لمفاصل التفسّخ الذي حلّ بالإنسان الحيّ قبل الميّت، والعاقل قبل الفاقد رشده.

منطلق أوكتافيو باث في تصوير علاقة الشاعر بالمعنى، الذي يقضي بأن «يصل البحث عن المعنى إلى أوجه في ظهور واقع في ما وراء المعنى ليفكّكه ويقصيه..»، ينطبق على مقاربة تصف الشغل الشعريّ الجديد، متحرّراً من الارتهان للسلطات التقليديّة، ومعلناً تمرّده على الأمراء والزعامات المستحكمة بالمال والجاه، لا عقائد تفرض سطوتها ولا تحزّب أو شعارات كبرى استهوت هؤلاء الشعراء كما حصل قبل عقود، وبالتالي ما تفعله الكتابة من إثارة للشك ومحاربة لليقين وجعل النصّ عامراً بالأسئلة والاستفهامات العابر الآني منها أو العميق المستقبلي، هو أصدق طريق اختطها كلّ واحد منهم، فكان- مجازاً- البيان الشعريّ الشخصيّ لكلّ شاعر فيهم، بيان لم تدوّنه الصحف أو مواقع التواصل، بالابتعاد عن مواسم شراء الذمم وتهييج الجمهور بقصائد يرتاح لها المصفّقون؛ لأنّها ترفدهم بسموم الانقسام بحجة الدفاع عن المكونات أو المظلومين في الأمس أو المهمّشين اليوم.

هذه المجموعة، لم تفعل هذا كلّه، بل فعله شعراء من أجيال أخرى، بعضهم ابن ثقافة التسعينيات، وبعض آخر لم يتخطّ عُقَدَ الثأر والتصفية التي نمّتها في دواخله أحداث طارئة في حياته، بفعل ما لاحه من تغييب قسري لأحد أفراد عائلته أو معاناته في توفير سبيل

مادّي يضمن عيشه، وبعضٌ راح يبدّل جلده من أيديولوجي لهج بالعنتريات البالية إلى عقائديّ تذكّر طائفته أخيراً وبعد فوات أوان.

دخلت هذه المجموعة وسط الثقافة العراقيّة بعد نيسان ٢٠٠٣، وكان عليها التفاعل مع بيئة مشخّصة، الفاعلون فيها ينقسمون إلى فئتين، الفئة الأولى التي اختفت لفترة خوفاً من ردّة الفعل بعد سقوط النظام السابق؛ لجهة أنّها من الوجوه الثقافيّة لتلك الحقبة المنقضية، وبالطبع إنسانياً إنّ من حقّ أفراد هذه الفئة التفاعل مع التجربة الثقافيّة الجديدة والإسهام بتخليص البلد وتخليص أنفسهم أيضاً، من الآفات القديمة والحديثة التي لحقت بهم، من آفة افتقاد الإنسان العراقيّ للمشاركة في العمل الجماعي والاحتجاج على السلطة، إلى آفة النزول من قطار الهويّة الوطنيّة نحو محطّات طارئة شاعت بعد ٢٠٠٣، هي هويّات ثانوية عمادها عقائد للتفريق وانقسامات اجتماعيّة باسم الطائفة والمذهب.

الذي حصل أنّ بعض رموز تلك الحقبة راح يعيد إنتاج نفسه بوصفه مثلاً أعلى لا بدّ لأي شاعر شاب أن يمرّ به ويتوقف عند ملاحظاته التي يثبتها في الصحف ومواقع التواصل كأساس وقياس منهجي، مِن هؤلاء مَن راح يوجّه تعاليمه لمن يخرج في الساحات متظاهراً، هكذا ببساطة أقفل على ماضيه وإسهامه الثقافيّ في خراب العراق من دون اعتذار أو إعادة نظر، وأخذ ينصّب نفسه منظّراً للوضع الجديد وكيفية الاحتجاج فيه.

مثال ثانٍ من الفئة الأولى، ذلك المثقف الذي تحوّل من محرّر ثقافيّ مسؤول عن نشر القصائد والقصص التي تتسق ورؤية النظام وأيديولوجيا البعث، إلى منظّر ثقافيّ أيضاً حاضر بقوّة في صدارة مؤسّسات الدولة، والأسماء التي نحن بصدد التوثيق لها، لم تقبل بأن تكون هذه النماذج أو غيرها عرّابة لها في المشهد، فلم تنل إشادة منها أو تنويها عنها، لأنّها أصلاً لم تكن تنتظر ذلك، مثلما نالها من هم أقلّ موهبة وثقافة، ضمن منطق تخادمي واضح في ثقافة ما بعد صدّام، بحثاً من هذه النماذج عن أتباع يكونون هم أباءً لهم؛ لضمان الحضور في الميدان الافتراضي، وبالأخصّ ممّن يجيد لعبة العلاقات وبذل المديح لهذا وذاك صباح مساء في الفيسبوك.

فئة ثانية، فاعلة وأكثر صدقاً في تبنّيها لمفهوم الحريّة والإخلاص للشعر، هم الكتّاب المغتربون الذين عاد قسم منهم إلى بغداد بشكل نهائي، أو من ظلّ يتردّد على المدينة وأقام صلات وتواصلاً مع هذا الطيف من الشعراء، هذه الفئة كانت واضحة وصادقة أكثر في التعامل مع الشعراء الذين ظهروا بعد نيسان ٢٠٠٣، إذ لم تكن تريد منهم إبداء مديح أو

تخضع لأستذة مارسها من هم في الفئة الأولى.
نتحدّث في السياق عن مجموعة، هل هم كتلة واحدة؟ بالطبع كلا، إذ التباينات ملحوظة ليس في نسق الكتابة فقط، وإنّما في قناعات الحضور والفاعليّة داخل الوسط الثقافيّ العراقيّ، ولعلّنا نقول «مشهد الثقافة العراقيّة» أفضل من اصطلاحنا «وسط» الذي أدمنت الصحافة ومجالس المثقفين الخاصّة على تكريسه.
لأنّ «وسط» بحسب قاموس اللغة؛ «مجال الشيء وبيئته»، ونحن في مشهدنا لا بيئة سليمة يتفاعل فيها الجيل السابق مع الجيل اللاحق، إشارتنا إلى بعض أفراد الفئة الأولى من الأنموذج «المُتخادم» أقرب الأمثلة، ولا مجال حيوياً يأخذ فيه النقّاد والكتّاب المحترفون دورهم في التعريف بالتجارب الجديدة، إلا في مبادرات محدودة وغير ممنهجة، نذكر منها ما كتبه الناقدان ياسين النصير وحاتم الصكر في أصبوحة «بيت الشعر العراقي» العام ٢٠٠٩ «الشعر توّاً»، التي أقيمت على شاطئ نهر دجلة قرب تمثال المتنبي بشارعه الأثير وسط بغداد، واحتفت بخمسة شعراء من أصل تسعة يضمّهم هذا الكتاب، وهم: علي محمود خضيّر، وصادق مجبل، وزاهر موسى، ومؤيّد الخفاجي، وحسام السراي.
ربّما هذه الفعاليّة هي الأولى في إطار تقديم هذه النخبة والإعلان عن ظهورها جماعةً شعريّة لا رابط بينها إلا في رغبة الاقتران بنمط جديد من الكتابة، تلا هذه المناسبة تجاور الأسماء التي صارت فاعلة بعد ٢٠٠٨ والتقاؤها على الورق في ٢٠١٠، بملف نشرته جريدة السفير اللبنانيّة ضمن ملحقها الثقافي تحت عنوان «شعر من العراق» آذار ٢٠١٠، ومن ثمّ في جريدة «النهار» تحت عنوان «قصائد لخمسة شعراء» أيار ٢٠١٠، وما أعقب ذلك من ملفات ومشاركات في صحف «تاتو»، و«بين نهرين»، بين ٢٠١١ و٢٠١٧، التي جمعت أغلب هذه الأسماء التي ما أن يغيب أحدها عن المشاركة في أحد هذه الملفات، حتى يحضر في أخرى.
أماسٍ عدة مركّزة جمعت تجارب من المجموعة ذاتها، وعندما نقول «مركّزة»؛ فإنّه بحكم طبيعة الشعر الذي قُدّم فيها، كون هذه الأسماء المعنية لم تكترث للحضور الجسديّ الدائم في الجلسات والملتقيات وحفلات توقيع الكتب التي صار شكلها مكرّراً بين المقاهي وعلى أرصفة بعض الشوارع الثقافية في بغداد وما عداها من محافظات العراق، لنتذكّر هنا أمسية «أطوار» بمؤسّسة «برج بابل» التي أسهم فيها ثلاثة من الشعراء الذين يوثّق لهم هذا المشروع، وهم: ميثم الحربي، وغمر الجفال، وحسام السراي، بمرافقة عود الموسيقار سامي نسيم، وذلك في ١٦ تشرين الأول ٢٠١٤، يومها قرأ ميثم قصيدتي «شاحنة البريد» و«شارعٌ للبلاد»، وأطلّ عمر على الجمهور بقصيدتي «سائس الحياة» و«عشاء للضيف

الغائب»، في حين قرأ السراي مقاطع من قصيدة «كرادة داخل».

لقاء فني ثان مع الجمهور في عرض «في منزل الوزير النزيه»، قرأ فيه أربعة من شعراء ما بعد نيسان ٢٠٠٣ في عرض امتزج فيه الأداء المسرحي مع الشعر والموسيقى والغناء والرسم، استدعاءً لمفردة النزاهة عبر شخص أوّل وزير مالية في العراق الحديث هو ساسون حسقيل، فكانت القراءات الشعريّة لـ: صفاء خلف، ميثم الحربي، زاهر موسى، حسام السراي.

النصوص التي قُرئت في جوّ استعادة ساسون ومناداة الواقع، وأيضاً لإبراز فداحة الوجود الحالي للعراقي الأعزل، الإنسان عموماً والمثقف: الشاعر والفنّان بنحو خاصّ، كما اتّسمت بالتعبير الأمثل عن درجة من درجات تشكّل الذات الشعريّة لكلّ منهم، فالأسماء الأربعة كأنّها أحالت الشخصية المستدعاة من تاريخ العراق الحديث (عشرينيات القرن الماضي) إلى عراق العام ٢٠١٧، بقصائد لا تحرّف ذلك القلق على مصير البلاد وتراجع اعتبارات وثوابت مهمة فيها، بل أفصحت بالشعر عن تلك الخشية من الغد، وراحت تسخّرها في قراءات سارت جنباً إلى جنب مع الاستدعاء المسرحي لهذا الوزير النزيه.

في المجمل، وبحسب الأحرف الهجائية التي سيرد فيها ذكر الأسماء التسعة في هذا المشروع، سنعطي توصيفات عامّة في هذه المقدّمة عن كلّ منهم، إذ حدّد أحمد عزاوي خياراته منذ وقت مبكر، بألا تنازل عن الشعر حتّى مع الانشغال المطلق بالدراسة الأكاديميّة في كلية التربية بجامعة تكريت، حينها كان العام ٢٠٠٤ أوّل إعلان عن ولادة هذا الشاعر الذي قرأ أمام زملائه الطلبة، في خطوة ترجمت بعد سنوات ليكون من بين طليعة الأسماء التي لم تكتب الشعر فقط، بل نظّرت لقصيدة النثر...

كتب عزاوي العديد من المقالات عن قصيدة النثر واشكالات المستسهلين لها، قال في واحدة منها: «ينفجر نوع كتابي نثري جديد قائم على تمييع كل شيء : اللغة والأفكار وطرائق الفن، نوع يتداوله بشغف لافت ما يمكن تسميته "القراء الاستهلاكيون"، هؤلاء بغالبيتهم لا يعرفون أي شيء عن الثقافات العالمة "الفكرية والفلسفية والاجتماعية والأدبية"، وهم لا ينظرون إلى كتاباتهم على أنّها منتج ثقافي بل على أنها سلع للرواج وإعادة الطباعة، وهذا النوع النثري خاطراتي وسيريّ على نحو مباشر، وكثيراً ما يسقط في أخطاء اللغة ومألوفية التعبير والتصوير. هذا النوع ينافس بقوة شرسة النوع الشعري النثري (قصيدة النثر) الذي يعاني في الأساس من اشكاليات تلقٍ من بين أسبابها الصراع الدائم مع القديم، وتماهي قصيدة النثر العربية مع الأنموذج الغربي، أما السبب الثالث فهو أحد أكثر الأسباب خطورة

في ضعف تلقي هذا الشكل الشعري، وهو غزارة منتجي قصيدة النثر ممن ليست لهم علاقة بالشعر وتاريخه وتحولاته وطرائق تعبيره بوصفه "فناً"..».

ومع كلّ ما واجهته محافظته «صلاح الدين» من أحداث وعنف، فإنّ عزاوي بقي متواصلاً بالنشر والاسهامات في الصحافة الثقافيّة، حتّى حينما اضطر- مؤقتاً- لمغادرة مدينته وبيته وجامعته في العام ٢٠١٤.

هذه الرؤية الواعية للحداثة الشعرية، أنتجت لنا كتابة أدبيّة لا انقياد فيها للسائد ولا انشغال بما هو آني وعابر في اللحظة التي يعيشها الشاعر:

«الآن أفهمُ بصفاءِ كركدنَ/ معنى أنْ يقفَ شاعرٌ على طللْ/ إنّه نداءُ طفلٍ لا يموتُ/ يرى من الغيمِ القديمِ/ عكسَ ما تراهُ من الأرضِ الصلبةْ».

زاهر موسى، الذي بدأ مسيرته الأدبيّة بخطوة فيها من الإيثار والنبل الكثير، عندما طبع كتابه الشعريّ الأوّل العام ٢٠٠٩ «قمران وليلة» مشاركة منه مع صديقه الشاعر المتوفى عمار عبدالرزاق، إصداره هذا عن الإتّحاد العام للأدباء والكتّاب في العراق، هو الوحيد الذي تبعه بالمواظبة على النشر في الصحافة.

بدايات حضور زاهر موسى الشعريّ كانت عام ٢٠٠٨ في نادي الشعر التابع لاتّحاد الأدباء، وشهد العام ٢٠٠٩ تعارفه مع عدد من زملائه، الذين صاروا لاحقاً رفاقاً في اليوميات الاعتيادية والعمل الثقافي والتفكير المستمرّ بحرائق البلد، ربّما يصح القول إنّ زاهر تعرّف أولاً إلى علي محمود خضيّر وصادق مجبل، ثم صفاء خلف وعمر الجفال، وبعدها حسام السراي.

نقطة التحوّل في حياة زاهر، العام ٢٠١٤ باحتلال داعش لعدد من محافظات العراق، يومها هول الأحداث وفداحة المجريات، جعلته يفكّر بأسئلة مصيريّة، لم يكن فيها للشعر إلا أن يرتقي سلم المأساة من دون تلفيق أو التصاق غير محسوب بفكرة «الغد الأفضل»، كان زاهر ذلك الشاعر الذي يرى الأيّام العراقيّة بعين المتوجع الذي وظّف الشعر للكتابة عن الخسارة الكبرى، خسارة الأرض وانكسار التعايش الذي فيها.

نظرته إلى قصيدة النثر بأنّها شكل من أشكال الكتابات الصوفية الإشراقيّة، تُرجمت في قصائده إلى ورشة مستمرّة لايقاد الدلالة بصور متحركة على طول النصّ، واستنطاق ما يراه مهمّشاً في المتون الثقافيّة ليقدّمه بوصفه الحدث الأساسي، لعلّ قصيدته «سلمان المنكوب» توضح شيئاً من زعمنا، أدناه مقطع صوره تقترب من جوهر حديثنا:

«أعلنَ نكبتهُ.. حين كان يُقشّــــرُ عن نزوحهِ الصرائف
الصرائفُ .. بقصديرِها المجروحِ بدماءِ باعةِ الخضروات
وحظائرُها الطينيةُ/ أختامُ المدينة

نزوحهُ.. قمرٌ لم يجدْ مكانهُ في الليل».

شاعر آخر، هو الأصغر سنّاً بين هذه الأسماء، إنّه صادق مجبل الذي كانت أصبوحة بيت الشعر العراقي «الشعر توّاً» هي أول إعلان عن شعريته وشغله في كتابة قصيدتي النثر والتفعيلة، إذ ذكر الناقد د. حاتم الصكر عن صادق في ورقة خصّ بها تلك الجلسة: «بشعره تتدشّن آفاق قصيدة ذات نسغ حيّ ووعيٍ باللغة والإيقاع معاً».

تعرّف صادق إلى أصدقائه وزملائه من هذه الأسماء، بدايات العام ٢٠٠٧، عندما تعمّقت صداقته بالشاعر زاهر موسى، ومن ثمّ بعلي محمود خضيّر، وبعدها في العام ٢٠٠٨ تعرّف إلى مؤيّد الخفاجي، ومن ثمّ في العام ٢٠٠٩ استمرّ بالتعرّف إلى ميثم الحربي وحسام السراي وصفاء خلف.

في قصائد مجبل انتظارات وسعي لبلوغ عتبة الخلاص، وهناك تمثّل للتثقيف الذاتي تبدّى من العنوانات التي يضعها والقدرة على كتابة نصوص طويلة.

نعم حصلت انقطاعات في تجربته، سببها الدراسة الصعبة التي اختارها والتي سيتحدّث عنها في شهادته، ولكنّ القصيدة لم تكن بالنسبة إليه، سواء قبل الانشغال بدراسته الجامعيّة أم بعدها، مسعى لتوصيف ديكوري أو نيل حظوة ما.

ويمكن استحضار هذا المقطع لصادق؛ لبيان قدرته على صياغة الجملة الشعرية ومنح الكلمات فيها سياقاً آخر مُفاجئاً، يفضي حتماً إلى شيء من البلاغة الصوريّة: «هو جالسٌ مسَ الظّهيرةَ بالبقاءِ/ وردّدَ الطرقات حَتى سارَ في نومٍ ليرعى شكلَهُ !»

صفاء خلف الذي عرف طريقه إلى الشعر مبكراً، ترافق مع بدايات انشغاله أواخر التسعينيات بعوالم القصيدة والبحث عن منطلق فنيّ للتعبير، اهتمام خاصّ سار بشكل متوازٍ مع الشعر، هو التوافر على صفات الناقد وتحسّس أدوات خاصّة به، ليبدأ العام ٢٠٠١ بمشوار الكتابة النقديّة وإبراز ملامح من مشغله فيها، عبر مقالات أخذ يشارك بها تباعاً في الصحافة الأسبوعيّة عن تجارب شعريّة عراقيّة، ثمّ تتالت الإسهامات والقراءات التي راح ينشرها بجريدة «الزمان» اللندنيّة عقب نيسان ٢٠٠٣، وبالتحديد في ملحقها الثقافيّ «ألف ياء»، ثمّ بتعزّز مساحات النشر والحضور، رفد الساحة بشغله النقديّ وكتاباته التي اكتسبت الكثير من لغة ذاك الشاعر الذي تأنّى في الإعلان عن نفسه.

نعم، ربّما قدّم صفاء اسمه ناقداً قبل أن يطرحه بوصفه شاعراً، وما من حدث اعتباطي في الأمر؛ لجهة أنّه ابن بيئة ووسط شعريين فيهما جوّ من التنافس الحقيقي الذي احتضنته مدينته البصرة، ليشهد إتّحاد أدباء البصرة العام ٢٠٠٤، أول ظهور شعريّ له في فعاليّة ثقافيّة حضرها نخبة من شعراء وكتّاب مدينة السياب.

أوّل لقاء وثّق صلته بالشعراء الذين يضمّهم هذا المشروع الأنطولوجي، كان العام ٢٠١١

في فعاليّة حفل التوقيع الذي نظّمه بيت الشعر العراقي على مرسى شاطئ دجلة في شارع المتنبي وقرب تمثال أبي الطيب.
حينها واجه مع صديقه علي محمود خضيّر الجمهور البغدادي، معلنين بكلّ العمق الذي عُرف عنه مثقفو البصرة، عن مشروعين شعريّين وعن ولادتين جديدتين، ممثّلة بديوانيهما «زنجي أشقر» و«الحالم يستيقظ».
تطلّب- ومازال- مقاله النقدي «طبقة الشعراء الجدد في العراق»، وقفة واستدعاء لبعض العبارات التي عبّر عنها بنحو قطعي فيما يخصّ تجارب شعراء ما بعد ٢٠٠٣، مثل انّها «أصوات هدّمت المناخ، لتؤسّس التشعب»، و«أعلنوا موت سلطة «الأب المؤسّس» و«الراعي» و«القيّم الشعري»»، فهُم بنظره «طبقة» تحاول مأسسة تقاليد وعلائق شعريّة بحتة.
لم يصدر صفاء غير مجموعة واحدة، وبقيت مسوّدة كتابه الثاني مؤجّلة إلى أمد آخر، نشر منها في السنوات الثلاث الأخيرة نصوصاً متباعدة في صفحة «نصوص» بصحيفة «الصباح الجديد»، ومجلة «كيكا» الالكترونية، لم ترد قصيدته قارئاً يبحث عن البساطة والاطمئنان غير الباعث على التفكير والشك، أرادت «قارئاً غير نمطي» تثير فيه الكتابة مشاعر متناقضة، ليكون القلق الوجودي الذي ينتاب الشاعر ماثلاً أمام القارئ الهائم في مدار تفاصيله.
هنا مقطع لصفاء فيه محمول متعلّق بالمكان البصري، يوظّف سيرة آخر يهودية عراقيّة هُجرت من البصرة ليتجاور انكفاء البشر مع المدينة:
«ويمضي الغريب، زمناً من غياب./ وتبقى المُسنة، تبصق عمرها من علية الشناشيل المتعبة. والمدينة تظلّ تقضم روحها».
برز اسم علي محمود خضيّر، بعد نيسان العام ٢٠٠٣، حيث ظهر في الساحة الأدبيّة ٢٠٠٥، قبل أن يؤسّس مع زملاء له «نادي الشعر في البصرة» ٢٠٠٧.
كان صديقه زاهر موسى أوّل من تعرّف إليه، في تواصل الكتروني عبر «الماسنجر»، بعد نشر محمود لقصيدة عن فاجعة تفجير الجامعة المستنصريّة، ثمّ التقى ببعض الشعراء من أقرانه بمدينة البصرة (مقهى الأدباء بمحلة البجاري)، وكان من بينهم: صفاء خلف حيث أسّسا لاحقاً برفقة آخرين نادي الشعر في البصرة عام ٢٠٠٧، ومن ثمّ تتالت الأسماء التي تعرّف إليها من هذه المجموعة، وهم بالتتابع: ميثم الحربي، وحسام السراي، وعمر الجفال، ومن بعدهم مؤيّد الخفاجي وصادق مجبل، وأحمد عزاوي.
أول قصائد نشرها كانت في مجلّة «الكليّة» التي درس فيها بجامعة بغداد، ثمّ نشر قصائد في مواقع ثقافيّة الكترونية نهاية عام ٢٠٠٥، أمّا ورقياً فإنّ أوّل قصيدة نشرها كانت خارج العراق، في مجلّة «ألواح» باسبانيا العام ٢٠٠٦ ثمّ مجلّة الهلال المصريّة العريقة.

لم يكن علي مشغولاً بالتهافت المهرجاني الذي عُرفت به ثقافتنا واهتمّ به جمع غير قليل من الشعراء، وبعضهم من شعراء قصيدة النثر العراقيّة، الذي شغله هو النتاج الشعري والحرص على تقديم قصيدة لا ترهقها المباشرة أو تسحبها الأحداث الطارئة إلى لجّتها.

لمحمود رؤيته لتعامل الشاعر مع مواقع التواصل الاجتماعي، بتوفّر أحكام شخصيّة عن الحضور «الوازن»، غير المفتعل، والبعيد عن الاستعراض، مما يبرز علاقة أشمل بين الكاتب وفنّه الذي يعيش معه تحدّياً لا نهائيّاً.

نعم ثمّة علاماتٍ للفقد واللااستقرار تطبع نصوص هذا الشاعر البصري، ولكنّ مفاتيح الفهم لهذه الملامح في تجربته، تكون يسيرة بمجرّد معرفة الانتقالات الشخصيّة في حياته، من مدينة إلى أخرى، ومن فكرة أو ألم إلى ما هو أكثر نأياً عنهما، حيث فكرة أخرى وألم تتجدّد مرارته في الحلق، كلّما كان هناك إدعاء باسم الكتابة الشعريّة.

هذه العلامات يمكن تلمّسها في هذا الجزء من نصّه «وسواس»:

«لا معنى لهذا الوسواس غير احتراق اليابس والأخضر من شجرة العمر. كما تُقبُل على بيوت متشابهة فتتداخلُ عليك أبوابُها وروائحُ ساكنيها..».

أمّا عمر الجفال، فقد أفاد من دون أدنى شك، من هذه الإقامة والانتقالات المتتابعة، من بغداد إلى دمشق، ومن ثمّ من دمشق إلى بغداد، وما يعنينا هنا بشأنه قبل رحلته الأخيرة إلى ألمانيا، لذا فإنّه قضى شطرين من حياته بين عاصمتين متجاورتين، خرج من كلّ منهما بخصوصية ما، في الأولى عرف طبائع الحياة الثقافيّة السوريّة وشيئاً من رخائها وطقوس الصالونات والشعراء العراقيّين المغتربين الذين مرّوا بها في طرق هجراتهم الطويلة وغير المتوقفة أبداً، وفي الثانية عرف تحدّيات العيش في مدينة مضطربة وقاسية، الإنجاز فيها أن تعيش وتسلم بنفسك واسمك من دون أن تكون تابعاً، ليخرج لنا بهذا العدد من النصوص التي لم تكن مصادفة أن تنطلق من مخالجات شخصيّة تتمحور حول الحياة، ليضيء عبرها المأزق العام الذي يقبع فيه المحيط ككل.

لذا ليس من دون قصد، أن ترد مفردة «الحياة» في عنواني كتابيه الشعريّين، كان العنوان الواحد بمنزلة توطئة عن شغل أكبر أراد الجفال التوغّل فيه، منذ اصداره الأوّل في ٢٠٠٩، وحتّى اصداره الثاني في ٢٠١٦.

الحياة هنا، ليست حيزاً تتشابك فيه الأحداث ويستسلم لها الشاعر، انّها مادّة للتجريب ولاختبار مدى بؤس العيش تحت وطأة سلطات شتّى تختطف أعمارنا وتسلبنا حتّى القدرة على التفكير السليم.

بدأ تواصله مع زملائه في هذه المسيرة المزدحمة بالأحلام العام ٢٠٠٧، واحتضن مرسم «نوال السعدون» العام ٢٠٠٩ في دمشق أول جلسة قُدّم فيها شاعراً جديداً يُحتفى بإصدار كتابه

«خيانات السيّدة حياة» عن دار التكوين التي منحته جائزتها في ذلك العام نفسه.
لنتأمل كيف ترد مفردة الحياة في كتابيه:
«مَن يَستدلُّ عليك/ وأنتَ خارجٌ عن شُرفة الحياة./ على السَّبورة سنواتُك تنمو/ غير أننا/ نكتبُ على دِفترك الفارغ/ أمانينا العاطلة.».
في هذا المقطع من كتابه الأوّل استنطق حيرته إزاء وجوده والعالم الذي تتشكّل فيه سنواته، في حين نلمح من هذا المقطع التالي في كتابه الثاني درجة التزاحم بين الموت والحياة التي هي نتيجة من نتائج اقامته المؤقتة ببغداد:
«الموتُ مُشعشعٌ/ والحياةُ أقلُّ مَا تَراها/ فراشةٌ تتلوّى تحتَ نصل المرايا..».
مؤيّد الخفاجي الذي أخذ طريقه للتواصل مع هؤلاء الشعراء منذ العام ٢٠٠٨، تأرجحت حياته بين متطلبات الدراسة في كلية الطب بجامعة النهرين، وبين الحفاظ على وجوده صَوتا شعريا جديدا غير آبهٍ بالأضواء والنشر، لدرجة تشعر إنّه يكتب لنفسه فقط.
لا ينشر الخفاجي كثيراً في الصحافة الثقافيّة، يحتفظ بقصائده لنفسه، ولا يهمّه إن قرأها جمهور ما وأعجب بها، وتلك صفةِ لازمته منذ سنوات، لا نريد هنا سريعاً إطلاق حكم على نهجه هذا الذي أبعده عن الحياة الثقافيّة، وعن ترسيخ فاعلية أدبيّة تحسب له فيما بعد في المشهد.
انشغال واضح في قصيدة مؤيّد بما هو ذاتي، إذ تشعر إنّ هناك تطابقاً بين سلوك الشاعر بنحو عام وبين كتابته، حيث العزلة المنتجة وغير السهلة على أي انسان، والتي تتضح منذ قراءة عنوان النصّ حتّى آخر كلمة فيه.
كنّا قد أشرنا أعلاه إلى خصيصة التمايز بين هذه الأسماء، والسمة التي تتوافر في هذا الشاعر دون غيره، ومن ذلك فإنّ ميثم الحربي، هو الأسبق بين هؤلاء في تسجيل حضوره في مشهد الشعر والثقافة العراقيتين، ولعلّه من بين أهمّ الشعراء الذين ظهروا في العقد الأخير (داخل هذه المجموعة أو خارجها)، إذ بدأ العام ١٩٩٩ بنشر قصائده، ثمّ أخذ حضوره في الجامعة يترسّخ بدعم من الناقد الراحل عناد غزوان وبالتحديد في العام ٢٠٠١، عندما شارك في قراءات بكلية الآداب جامعة بغداد في قاعة الإدريسي، وأعقبها بالتردّد على إتّحاد الأدباء منذ العام ٢٠٠٢، مقدّماً ومشاركاً في أكثر من أمسية وندوة، حينها التقى هناك بالشعراء جاسم بديوي ومروان عادل حمزة وياس السعيدي، وسبقت دخوله للمشهد البغدادي، مشاركات متباعدة في اتّحاد أدباء الحلة.
تتابع الصور الشعريّة في قصيدة الحربي، والتكثيف الذي وسم البناء النصيّ، شكّلا إطاراً احتضن ذلك التطلّع إلى الحداثة، في اشتغال أراد التوفيق بين المعاينات المحليّة والمعارف التي تلقاها من ثقافات ونصوص أخرى.

عالم خاصّ يأخذنا ميثم إليه، ويغدو مع المتلقي للنصّ ليس عالمه فحسب، بل مدينة لا مرئيّة من الأسئلة الفلسفيّة التي تتوالد في ذهن المتلقي، وما على الداخل إليها إلا تأمّل ما تستدعيه من معانٍ ودلالات.
مهم هنا أن نستعيد هذا المقطع من قصيدة «هياكل الغسق» لميثم الذي يتكلّم فيه بلسان المجموع مماحكاً فيه مركزيات وكيانات عدة:
«دمنا../ منذُ الله/ يسكن فيه الأجداد/ في محاولة ألا يكون لقيطاً/ والكريات البيض والحمر تتدحرج قبائل وغزواتٍ وحشودَ ملوكٍ تهوي/ وأخرى تهوي/ وكتباً يملؤها المؤرِّخون بالجدل..».

يضم الكتاب تسعة أقسام، كلّ قسم مخصص لشاعر يطرح أولاً رؤاه عن الشعر ولِمَ يكتبه اليوم وما معنى أن يكون الانسان شاعراً في بلد مثل العراق، ثُم يتبعها بقصائد منتقاة له.
هذا الكتاب، هو وثيقة تخلو من التصنّع والفذلكات، نتركها للتاريخ، قبل أن تضيع الحقائق ويعتّم وهج مواقع التواصل وما فيه من افتعال وادعاء على الشغل التأسيسي في مرحلة ما بعد نيسان ٢٠٠٣، أعني الأسماء التي تقدّمت إلى المشهد بقصائدها وتطلعها المُعبر عنه في أكثر من شكل، من الذين حلقوا من فوق خرائب كلّ هذه المراحل والمعالم الكارثيّة، الاجتياح الأميركي، والعنف الطائفي، وأصوات الانفجارات، والمدن المسوّرة بالكونكريت الخانق، وأحزاب الفتن والحصص، والدخان الذي كلّما تصاعد، كلّما كانت هناك قصيدة جديدة أو فكرة شعريّة، ليس لمجرّد تسجيل موقف، وإنّما استباقاً للحظة الفناء، الذي يعني ضرورة الإنجاز وإنْ علت نيران الحرائق يميناً ويساراً.
أخيراً، ليس في هذا الجهد البسيط، منّة على أحد أو تفضّل أو تقديم جديد لاسم منهم، هذا غير وارد اطلاقاً، فهم كلّهم أسماء معروفة ووجودهم سابق لهذا الكتاب، الغاية من جمع أفكارهم ونصوصهم في مشروع، إنّما من أجل الحقيقة في المستقبل، وتبسيط شيء من العناء المحتمل الذي لربّما يواجهه الباحث في تفاصيل أدب هذه الحقبة.
هنا أدب كتبه شعراء ظهروا في الفترة نفسها، وتعمّقت العلاقات فيما بينهم؛ ليتداخل ما هو حياتي فيما هو شعري. وتحوّلت صداقتهم إلى فضاء من التداول بشأن الكتابة والمواقف الأخلاقية الكبرى، تجاه محطات مفصلية وصعبة. كان هؤلاء وسط حممها المستعرة. لم يستثمر أحدهم بشاعة الصور في المجال العام؛ ليجلب الأضواء لنفسه في حراك مفتعل باسم الشعر، ذاك الذي اعتمد على الـ SHOW فقط. النص المقروء فيه لم يتوفر على السمات اللازم تحققها في القصيدة، كانوا على العكس من ذلك الافتعال والصناعة الخادعة سلكوا طريقهم بالتأني والمراجعة لما أنجزوه.

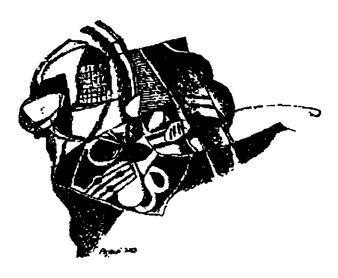
سيسأل سائل، متّهماً الكتاب ضمناً بأنّه ذكوري؟! نحن نتحدّث عن رؤية التقى عند أفقها جمع من الشعراء، لم يكن بينهم شاعرة، هذا جوابنا ببساطة، ولو كانت هناك من تتّفق والشغل الذي ظهر لهؤلاء، منشوراً في الصحافة أو في كتب، لكانت قد أخذت محلها في هذه الصفحات.

شغلٌ أخذ الشاعر إلى متاهة من التفكير وصناعة الاحتجاج الخاص، بتأملات لا تحتسب لرغبات عموم المعلقين في مواقع التواصل، من الباحثين عن السهولة في مقاطع النصّ الواحد الظاهر أمامهم.

سيسأل آخر، لِمَ هذه الأسماء التسعة فقط؟ ألم تظهر معها أسماء ثانية، نقول إنّها قدّمت وتقدّم قصيدتها خالصة من دون تأثيرات أخرى، والتي نعني- أي التأثيرات- استثمار ما هو اجتماعي من دبج مديح مجاني وكسب ودّ عدد من النقّاد والأسماء المعروفة للبقاء في الساحة وتصدير الذات في كلّ حدث، على وفق منطق تخادمي نوّهنا عنه أعلاه، وهذا ما وقع في فخّه بعض الشعراء وسيلة منهم لاثبات الاسم الذي تقدّم في الغالب على النصّ وقيمته.

فوق ذلك، هذه الأسماء لا تكتب «قصيدة اعلامية»، صيغت لتراعي أذواق الجمهور أولاً، من الذين تلهمهم القفشة أو المُفارقة المفرّغة من البناء في مساحة نفعية صرف ميدانها الفيسبوك تحديداً.

عني شخصيّاً، تشرّفت بقبول أصدقائي وزملائي للمشاركة في هذا المشروع، وجمعت إسهاماتهم فيه، وكتبت هذه المقدّمة التي لم تفلت من وقفة عند الشأن العام، من هنا لا أجد نفسي إلا بين هؤلاء الأعزاء، لا غيرهم، ممّن صعقتنا أخبار هذا البلد، وبقينا دائماً نخبّيء أحلامنا خشية اغتيالها، كي تنجو فقط، وها نحن نجتمع على الورق بعد أن فرّقتنا الحياة، والعراق أيضاً.



أحمد عزاوي

الشعر.. بعيداً عن الموجهات..
قريباً من الإنسان

بقيت إلى زمن قريب- ربما حتى بداية الألفية الثانية- مأخوذاً بالأسماء الشعرية الكبيرة التي شكّلها الضغط النقدي والجماهيري التقليدي لأهداف مقصودة، غير واع بأن الهامش يخبيء أسراره الثمينة، ولا منتبهاً إلى كوني جزءًا من هذا الهامش النظيف من لطخات الأيديولوجيا والموجهات والمناسبات والأثمان التي كانت ومازالت حافزاً لما قيل ويقال.

مع هذا عشت محتفظاً بعزلة صوتي وانغماري في غسل الكلمات، مؤمناً أنّ أناقتها مرهونة بنظافتها من عبودية الأغراض والهبات، وأن حريتها وتماهيها في مظاهر الحياة البهية هو ما يجعلها مؤثرة وقابلة لبث الأمل في فضاء قارئ ما يزال يبحث عنه، غير عابئ بالشهرة أو توابعها لعلمي أنها بثمن وكثيراً ما يكون باهظاً وعلى حساب السعادة، سعادتي وسعادة من حولي من الأبرياء.

وجاءت لحظة ٢٠٠٣ وما بعدها لتؤكد لي أن الأنساق لا تموت بل تلبس عباءات ملائمة لكل زمن، فالضجيجيون ظلوا سادة المشهد بعد أن استبدلوا موجهات السياسة والتعبئة والقومية بموجهات الدين والطائفة من دون اهتمام للبقع التي ازدادت في شعرهم وحياتهم وحياتنا، وتراجع شعر المدينة لصالح شعر الخصومات والموت.

الشعر كثيراً ما برع في التمويه، لكنه كان يستعمله للزخرفة أو للتجميل أو للألق أو للاختباء من عيون معادية، ويغدو التمويه في الشعر العراقي الحديث قناعاً للزيف وللتحول من صراخ اليسار إلى جبة اليمين، وربما صار التمويه زيّاً لمن لا حظ له من الشعر ولا قرابة جوهرية، فالغموض ثوب القصائد الجديدة التي لا نبض فيها ولا وهج، غموض لأجل الغموض وليس ظلاً لجدل معرفي عميق وخلاب.

المهرجانات- بدورها- تسهم في احتضار الكلام وفي ندرة الشعر وفي تلاشي مفهومه، فهي منصة للتعارض والحرب الرمزية التي عاود شعراء الأيديولوجيا تأجيجها من جديد ولو في حيز ثقافي، كل مهرجان هو إعلان عن ولادات ولغات جديدة وخرائط ممكنة لأحلامنا، وهو في الوقت ذاته تكرار هائل لرجعية الأشكال التقليدية، هكذا أجزم أن كل المهرجانات التي حضرتها كانت حلبة للفراغ وللتزويق لا أكثر، إذ نادراً ما تجد الشعراء يتحدثون عن شؤون الشعر وشجونه وانعطافاته وإشكاليته في زمن احتضاره، أكثر ما يشغل بالهم هم توزيع مجاميعهم بإصرار فادح كأنها أكلات سريعة (Fast Food)، يجب أن يبتلعها الضيف بإجبارية ومن دون نقاش لنسغها المعرفي.

في سياق آخر تشغلني مواقع التواصل الاجتماعي بوصفها ديوان شعر العالم الحديث، فهي كتاب مفتوح أمام الملايين لا حدود للتعبير فيه ولا معايير، المعيار المعرفي والجمالي الغالب في هذا الفضاء الضاغط هو التواصل والتودّد اللعوب بين رواده الذين يعيشون في مقهى افتراضي، يصبح فيه التعليق والإعجاب (like) بمثابة حكم نقدي يكدس جمهوراً مخدراً بالإثارة وعاشقاً للسخرية التي تخفف من مفاجآت العصر، وانفجار خزانة التاريخ عن جملة من الحقائق والمعلومات التي تستفز التكوين الذهني والنفسي للناس.

الغريب أن مغامرة الأشكال انتهت فلا شكل جديد بعد قصيدة النثر التي تتراجع بدورها؛ لأن عدداً كبيراً من كتابها لا علاقة لهم بالشعر أبداً، وهم لا يستطيعون أن يقدموا لأحد أبسط مفهوم للشعر ينطلقون منه لتكريس هذه الفوضى، في سياق مضاد ثمة عودة رجعية كالحة للقصيدة العمودية التي لا ترتقي بشكلها ولا مضمونها ولا آفاقها الوجودية إلى تجارب الشعراء الرواد والستينيين والسبعينيين وما بعدهم، إنها ردّة ثقافية هادرة سببها التراجع الحضاري الذي تمر به البلدان العربية نتيجة اضطراباتها المتوالية، وهو ردّة تعاضدها قنوات فضائية ووسائل إعلام ومهرجانات ودور نشر بدعوى التراث

والأصالة، في مناخ من التناقض الحاد الذي يستخدم تكنولوجيا الغرب وتقاناته الباهرة لتقديم أنساق ميتة من العويل والندب والتفاخر الفارغ.

لا شكّ أن التطرف الديني والطائفي له دور في عودة هذه التجارب الفارغة وأشكالها المستهلكة، فهي ظهير رجعي لفكر الجماعات وأناشيدها وأهازيجها التي تستنبت التاريخ الإشكالي في زمن التقانات الفائقة، وتجعل من الموت والتخلف حالات دينية ووجدانية تبرّر من خلالها كل شيء، وهكذا ينمو الشعر العمودي متخيّلاً الحصان والخيمة والسيف والرايات والمقاتل والعنوانات العاطفية من دون أن يؤثر في صياغة شكل العالم الذي يغيره موديل جديد لهاتف نقال أو أغنية عاطفية تخترق قلب الحاضر والأجيال.

لا جديد في القول إن الشعر على مفترق طرق، وربما يكون ميتاً سريرياً- ونحن لا ندري-، تبقيه نبضات عاطفية لجمهور محدود جداً من القراء الذي تحركهم حاجات قلقة تقف وراءها أسباب انفعالية أو عاطفية لا أكثر، لذا فإن الجيش السردي ممثلاً بالعدد الكبير من القصص والروايات التي يبدو أنها تنجح في رصد التحولات الاجتماعية، وتحاول الإجابة عن غموض إيقاع الحياة والمصير، عكس ما يفعل الشعر بتكديس الغموض على الغموض، هذه الموجة السردية وتجلياتها الكبرى في أعمال لافتة والنقاش الدائر حولها يثير أسئلة جدية حول قدرة الشعر على المواصلة وجدوى بقائه حاجة وجدانية ووجودية ملحة لها مسوغاتها.

الثقافة الشعبوية بدورها تمارس ضغطاً كبيراً، وهي تعبير صريح عن تنامي الذهنيات الشعبوية الضيقة المحكومة بالفهم الإقليمي لكل جماعة بشرية، ولا غرابة في القول إن الشعراء الشعبيين أكثر شهرة ومتابعة من الشعراء الآخرين، فهم مازالوا أكثر التصاقاً بالأنساق البدائية التي تحكم مجتمعاتنا، وهم الأقدر على إرضاء متطلبات السوق القرائي، لأنهم انفعاليون ويستجيبون للأحداث من دون أن ينشغلوا بوظيفة الثقافة ودورها في التنمية الجمالية والذوقية والتغيير المعرفي.

مع هذا أجدُني محاولاً البحث عن ثغرات ونوافذ للتعبير الشعري الجديد واضعاً في مخيلتي ضرورة أن يكون الشعر لا دينياً ولا طائفياً منتصراً في أقصى ما يستطيع لقيم العدالة والحرية والمدنية، مقترباً من سياقات العصر لغة وانفعالاً وصوراً وخيالات، ومساهماً فعلياً في تكريس حضور المدينة وقيمها العصرية.

وهنا عليّ أن أعترف بموقفي من التاريخ واستدخاله في الشعر واستخدامه، فهو في نهاية المطاف حزمة مواقف ومرويات ملفقة سياسياً ودينياً لاعتبارات خطيرة، لذا أظلُّ بمنأى عن استخدامه أو الترويج له في شعري، ولا أراني بحاجة إلى رموزه؛ ففي الحياة المعاصرة ما يكفي من الإشكاليات والتحولات التي تحتاج إلى آلاف القصائد، واعترف أيضاً أنني أقف بالضدّ من كل شعر ذي مغزى تاريخي أو يتوسل بالرموز التاريخي وأعدّ قائله أسيراً لعبودية فكر ميت وزمن لا يعنيه، وهو دليل أكيد على هروبه وفشله في مقاربة راهنه المدهش والغني بالغرابة والمفاجآت.

الكتابة في التاريخ وعن التاريخ شعرياً، تعني محاولة يائسة لتبني فكر الموتى وحيواتهم، ففي الحاضر والمستقبل تجارب هائلة تنتظرنا أو تنتظر صمتنا.

شعري طفل الحاضر الذي يرنو بقلق ودهشة في آن إلى مستقبل الكون.

خياراتُ الشاعرِ الجوّال.....

هل يمكنُني أن أنحدرَ بسيارتي إلى فمِ الوادي

أربطُ جسدي جيداً

وأتركُ الهواءَ يُدوّم في رأسي

مثل جريدةٍ كاذبة.

هل يمكنُ أن أقولَ لِرئيسِ البلادِ

أنتَ ربطةُ عنقٍ

تجمِّلُ وتحبسُ الأنفاس.

هل يمكنُ أن أقولَ لقطيعِ الكهنةِ

أنتم سياراتُ أجرةٍ.

هل يمكنُ أن أقولَ للمؤرخِ

أنت مسدسٌ بلا أمان.

هل يمكنُ أن أقول للشعراء

خيالاتكم ألغامٌ في خواطرِ الناس.

هل يمكنُ أن أقول لحبيبتي

أنتِ مزهريةٌ اجتماعية.

هل يمكن أن أقول لي:

الشعرُ فأرُ نفسي

يصرخُ ولا يشاركُ في المعركةِ

هل يمكن أن أعاتب نهايتي

وأصرخُ في غيابِها

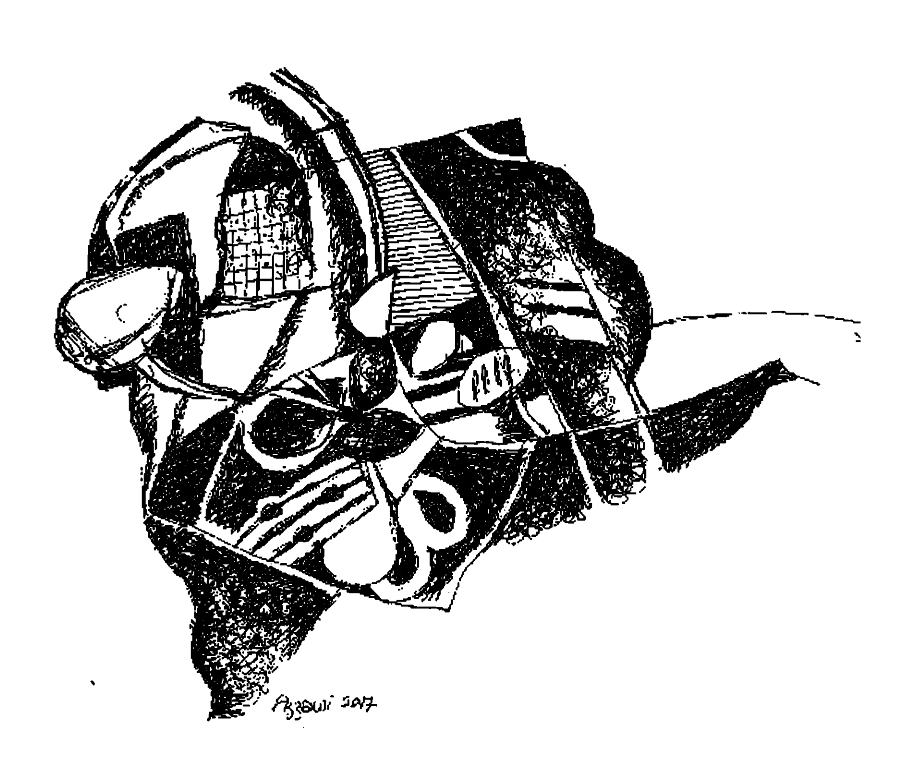
يا ......

بعدَ ستين عاماً

سأُنسخُ سنديانةً

وستحرسني العصافيرُ

وسأبرأُ من الوطنِ والضفادع.



عطلةُ الصياد

أنتَ لا موئلَ لك

ولا لصوتكَ بلادْ

يباركُكَ الترَقُّبُ

وتنحتُك الفراغاتْ

تتزلجُ على شطرنجَ

طفلاً في دسائسَ

وقدحةً في حروبْ

تتسلَّح بالحقائبِ

لأنَّ الشتائمَ تلطخُ الهواءْ

كن ابنَ من شئتَ

لكنْ

لا تنتسب إلى النفيرِ

واجعل الشعاراتِ والشعائرَ سلالاً للرمادْ

فحينَ تتنظفُ من ثعالبِ التأريخِ

ستطيرُ

وسترى للمرةِ الأولى

شجرةَ الطينْ

وسترسو

وتلعبُ

وتبني

وتنعسُ

وتنامُ

في محفظةِ الجدةِ/ السعادة

ومن فاتحةِ صحوك

سيبدو لكَ الناسُ غيوماً من ريشٍ

بيوتُهم سلافاتُ ضحكٍ

ومصافحاتُهم قُبلٌ

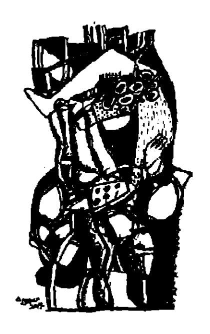
والكدحُ فراديسْ

الاحتفالاتُ شرائطُ تتحدى قوسَ قزح

مساءاتُهم فراءٌ مائجٌ رطبٌ

وبلادُهم بلادْ

* شاعر وأكاديمي، من مواليد صلاح الدين (سامراء) ١٩٧٧، حاصل على شهادة الدكتوراه في النقد الأدبيّ الحديث من كلية التربية بجامعة تكريت، مدرس مادّة النقد الحديث في كلية الآداب- جامعة تكريت، صدر له: في النقد «بناء الشخصية في الرواية» ٢٠٠٨ اتحاد الكتّاب العرب- دمشق، و «سحر النصّ» (بالاشتراك مع مجموعة من النقّاد العراقيّين) ٢٠٠٨ المؤسّسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، و «سيمياء النصّ الشعريّ» (بالاشتراك مع مجموعة من النقّاد العراقيّين) ٢٠٠٩ عن دار مجدلاوي- عمان.
وفي الشعر: «الحياةُ ..بعينٍ بيضاء» (مجموعة شعريّة فائزة بالمركز الثالث بمسابقة شرق/غرب) ٢٠٠٩ دار المسار- بيروت، و «عن الودائع وغيوم الذكريات» ٢٠١١ دار تموز- دمشق.



حسام السراي

رهانات الناجي والصندوق الأسود

كم هي بعيدةٌ الآن سنوات الطفولة، وكم هو قريبٌ إلى الذاكرة ما بقي من تلك الاندفاعات الأولى التي بدأت من فضول عفويّ نحو ما حملته رفوف الكتب وعنواناتها المتضاربة وألوان أغلفتها، كانت رسمات الأحرف وأشكال الحركات هي ما استعذب ذلك الصبيّ واعترض مساره بشعور غريب، غير مفهوم، ولا يمكن لمن أخذ يبصرُ الموجودات شيئاً فشيئاً أن يفسّره بلا اضطراب وطول عناء.

صعب جدّاً كان ذلك الاكتشاف للقدرات الخفيّة التي ظلّت غير ظاهرة لفترات، قدرات التعبير ورغبات الخلق الفنيّ والتأليف، هذا الينبوع المختوم بختم سريّ ارتوى بالتدريج عبر دروب ومسالك بعضها قدري وبعضها اختياري نما بالمتابعة تارة وبالتأثّر المتلاحق على مراحل، تارة أخرى.

الفتى الغضّ الذي سُرّ بالحركات على الكلمات، وبالأخصّ كلمات الآيات القرآنيّة، كان بعض الصبية من حوله يجبرهم ذووهم على أداء الصلاة، وهو يكتفي بموسيقى الآيات وتناسق نهاياتها، وبالالتفات إلى ما يقع تحت يديه من كرّاسات وكتب.

هذا الترنّم بالإيقاع داخل الآيات، وذاك التتبعُ لمُرتلي السور ولمناحي

استيعابهم للمقامات الموسيقيّة، هو ما حدّد أوّل صلة حقيقية بالشعر، ربطت البصر بالسمع، إبصار أشكال الأحرف ومن ثمّ ترديدها إثر تجويد أو قراءة؛ لما في ذلك من إلقاء ووقع على الأنفس.

في المدخل العمومي الواجب الانطلاق منه، ما من هويّة تعريفيّة يمنحها الشعر للمتورّطين به، ليؤكّد انتسابهم إليه، وما من نسب أو جاه يقدّمه الأدب الحقيقي للمؤمنين به وبالإنتاج في حدوده، إنّه انتماء لآباء محدّدين، بين لغة أكثر من كونها أداة لتحريك الكلمات من المحل القاموسي الذي قدمت منه، وبين صورة تترجم الأحاسيس وما يَخلُص عن إعمال المخيّلة لحظة الكتابة...

معادلة «الكيان الشعري»، تكاد تكون حاضرة في كلّ التجارب، قديمها وحديثها، يبقى حفر الشاعر هو المختلف في تشكيل هذه المعادلة التي سيصبح هو لاحقاً- أي الشاعر- مادّتها وفارسها المستقبلي، فهو الموهوب الذي يتهجّى أحرف دربه في مشوار الإبداع، يصبح مع كلّ قراءة جديدة لما يصادفه من نصوص، ذاك المتلقي الذي يبحث عن مفاتيح لقراءة القصيدة، وثانية يغدو صانعاً للشفرات ومضمناً للرسائل في كتابته، ومسخّراً بما تيسّره اللغة، كلّ طاقة تعبيريّة يمتلكها للإحتجاج وصياغة صور لا تجعله أسيرَ ظلال سابقة.

نذهبُ في زعمنا هذا إلى «الكيان الشعري»، لأنّه عمقٌ بعيد ينصهر فيه الإرث التاريخي مع الطابع المديني الذي ينشأ أو يقيم فيه الشاعر ويخضع لمؤثّراته، بحيث تتأطّر لغته بـ «برواز» شخصيّ تتغيّر ملامحه على الدوام، ما دامت عملية تكوين الوعي وتطويره هي الحصيلة المؤكّدة من كلّ ذلك.

ذلك الكيان الذي تخطّ هيئته عناصر البناء البصريّ للقصيدة وما فيها من علامات وتضمينات فنيّة، ومنه فإنّ الاعتبار التحليلي يذكّرنا بالبيئة (هنا هي بصمة مؤسِّسة لأقانيم الكتابة)؛ بوصف فهمها واستيعاب بنيتها، منطلقاً أساساً في تفكيك الخلفيات الثقافيّة ومنابت الرؤية الخاصة لكلّ شاعر، هنا مكان كوّن أحدهم، بلا شك يتمايز عن الذي نشأ فيه غيره، أو محل اندغم وعاش فيه شاعر آخر، حتماً هو غير ذلك الذي ركن إليه شاعر منذ ولادته وربّما إلى الأبد.

رافد شخصي

نعم، بنحو حاسم، أرى البيئة، منذ النشأة وحتّى البلوغ، عاملاً حاسماً في طبيعة ما أكتبه، أحياناً أجد نفسي مترجماً لسنوات من حفلات الإرغام على تغيير أمكنة وحيوات تنسخ فيها التفاصيل بعضها، بين أحياء تقليديّة ومدن عظيمة وشوارع منقوشة في النفس نقشاً، مع كلّ خطوة فيها استعادة للذي مرّ أو علق من جمل أو شذرات من معرفة ودراية، صوت داخلي يتعالى ويزاحم التكوينات التي يضمّها هذا الفضاء دون غيره.

دائماً ما كان هناك محيط له موجّهاته الأثيرة وما يعاكسها، ودائماً ما كنت ألتقط إشارات التفاعل مع الوجوه والألوان والأبنية، من خلال حسّ يستمزج الطلّة الأولى للأشياء، كلّ الأشياء، الحيّ منها والجماد، كنت أتطرّف لمن يبتني لأثره موطئاً لا يتزحزح، سواء مكانٌ تهضمه المجسّات الذاتيّة، أم ملفوظات، منثورة أو موزونة، منها أبيات من الشعر المعنى فيها هو السيّد وما الوزن والقافية إلا معبراً لسهولة الحفظ..

ومضة أولى رنّ جرسها في الروح، هي مع هذا البيت للمتنبي «وإذا كانت النفوس كبارا.. تعبت في مرادها الأجسام»، إذ سجّل أوّل موعد اختبر العلاقة مع الكتابة، التي تجذبك فيها مغامرة مؤلفها أو فرادته في الصوغ، كان عليّ أن أكتب إنشاء أشرح فيه ما تلقفته من هذا الصدر والعجز، ومن حينها تتالت الاختبارات.

إحساس ببلوغ إدراك جديد، تأتى للشاعر في خطواته الأولى، ذلك الذي فرضته عليه الرغبة الداخليّة بإطلاق ما هو مخبوء وغير ظاهر، ليشكّل عالماً من كلمات، يحمل صوته ونبرته، مفصّحاً عن الممكنات في اللغة وفي توظيف الجانب الشعوري والمعاني التجسيدية في النصّ.

موقد الأسئلة

ظلّت الحياة العراقيّة بتقلّباتها ذلك الصندوق الأسود، الذي عليك بوصفك شاعراً أن تفك عُقده واختلالاته العجيبة، بالشك والبحث وعدم الوقوف عند الأحكام القطعيّة، متحدّياً صعاب العيش ومفردات اليوميات التي تسحبك إلى الوراء، أتحدّث هنا عن إنسان يواصل بقاءه في العراق، وعليه أن يوازن بين متطلّبات كلّ من الوجود والاستمرار في مجال مُربك، وبين الانتماء الثابت إلى القيم الحرّة والتجديد في الإنتاج الأدبيّ، ولن يوازن في أحايين ومرّات كثيرة.. كان ذلك بالضبط أصعب حرب نفسيّة خيضت عليّ، كيف تتقدّم ولا تندحر وسط العواصف الكبرى والصغرى، العام منها والشخصيّ، أتذكّر مرّات الفقد ولحظات الدنو من

الموت، وكم من توقفات تمتحنك بما يبدر فيها من حوار مستتر وخاصّ: ماذا لو لم أكمل الحلم؟ وأيُّ حلم ذاك الذي عليك أن تتجرّع المحن بما فيها من مرارة وقسوة، وأن تستوعب التشعب النادر في الكوارث، جاعلاً من صناعة الفرح وانتظاره، فعلاً لا بدّ أن تتمه بالمران الذاتي المُكتسب.

أكبر التحدّيات في أن تكون شاعراً عراقيّاً يمضي بكلماته وقصائده في معترك من صعود ظواهر رثّة تمثّلها طبائع قبليّة وعشائريّة، هي جزء من تغلغل العنف حتّى في الخطابات اليوميّة، تحدّي أن تتحسّس ما حولك من دون أن تستسلم له، ومن دون أن ترسم أبعاداً طوباوية في النصّ.

مطلوب منك أن تكون شاعراً يتفوّق على الصدمات، صدمة ذلك الناجي بالمصادفة فقط، يتخيّل نفسه متفحّماً! هكذا ببساطة: تذهب قاصداً المشاركة في ملتقى لقصيدة النثر بالبصرة، فتنفجر على الطريق سيّارة ملغمة ويتناثر من حولك الأبرياء، فكيف تنشد القصيدة الفردوس وكاتبها مفزوع.

ويح الذي ينتظر فردوساً أرضيّاً ! لكنّه يُبقي رهانه على الشعر طالباً الخلاص، وفي قصيدة النثر نجاة من منصات التجهيل والهتاف الرخيص، هي أنت مكتوباً على الورق، حيث صدق ما فيها لا يكلّف الكثير من ربطات العنق وكاميرات الفضائيات.

كرّادة داخل

مَدخَلٌ لتَخفِيفِ الوَطْء

الرَّوائحُ تَتَدافع

رائحةُ شِواءٍ على الحَطب،

نِساءٌ خَرجنَ لِلتوّ،

بُنٌّ يَخشى مَخالِبَ الدُخان

الرَّوائحُ تَتَهافت

رائحةُ سِروالٍ من أفغانستان،

وجهٌ من الحِجاز،

كَرّاديٌّ سَيَصطَخِبُ بالسّراويلِ والوجوهِ بَعدَ قليل

الرَّوائحُ تَتَطاير

رائحةُ جَسدٍ يَحترقُ صامتاً،

مَلابسُ تَشْتَعلُ وحيدةً،

إطاراتُ سيّارةٍ قالت للسّماء: الله أكبر

الرّوائحُ تَتَقاطع

رائحةُ حلوى إيرانيّة،

مُحرّكاتٌ لسيّاراتٍ أميركيّة،

أرصفةٌ بحَجرٍ تُركيّ،

عَتَبٌ لفروغ فرخزاد ووالت ويتمان وناظم حكمت

العيونُ تَتَهامس

عينُ الكهلِ مُتذكّراً طَعمَ التّجاعيد،

الشُّرطيُ تائهاً في قاموسِ الأسى،

الصّبيُّ على كُرةٍ تَنتظرُ التصويب

العيونُ تَتألق

عينُ صَبيّةٍ بنظراتٍ تَعلو وتَخفُتُ،

مُشرّدٌ يَرقصُ للفُتات،

مَنفيٌ يرى نَفسَه في مرآةِ كلواذى*(1)؛

قَصيدةٌ على ورقةٍ منزوعةِ البياض

العيونُ تَتجمّع

عينٌ تلفظُ حِكاياتِها عِندَ عتبةِ بائعِ خضار،

عينٌ لشهيدٍ تخافُ حماسةَ النعوشِ والأكفان

.. لشهيدٍ تُحصي أنفاسَ الأبرياء

.. لشهيدٍ تلبطُ تَحتَ صورته الأسماك

.. لشهيدٍ تَطلبُ ابتسامتُه الرفقَ بالسيّدِ عمود الكهرباء

الإصغاءُ يَتَضاءل

الناسُ لا تُصغي إلا لأصواتِ نداءات التنزيلات الخاصّة

أنا لا أسمعُ إلا صوتَ كَعبِها العالي

السّمّاك لا يُنصِتُ لاحتجاجِ ضَحيته الجديدةِ في الماء

الأبنيةُ لا تَتَهجّى أسماءَها اسمَ زَها حديد أو رِفعت الجادرجي

الإصغاءُ يَنتَحر

لا صوتَ يَستدلُّ إليكَ بَينَ عُشّاقِ الشّروقِ والغروب

لا عَبرةَ تميّزُها بينَ قوافلِ الحزانى

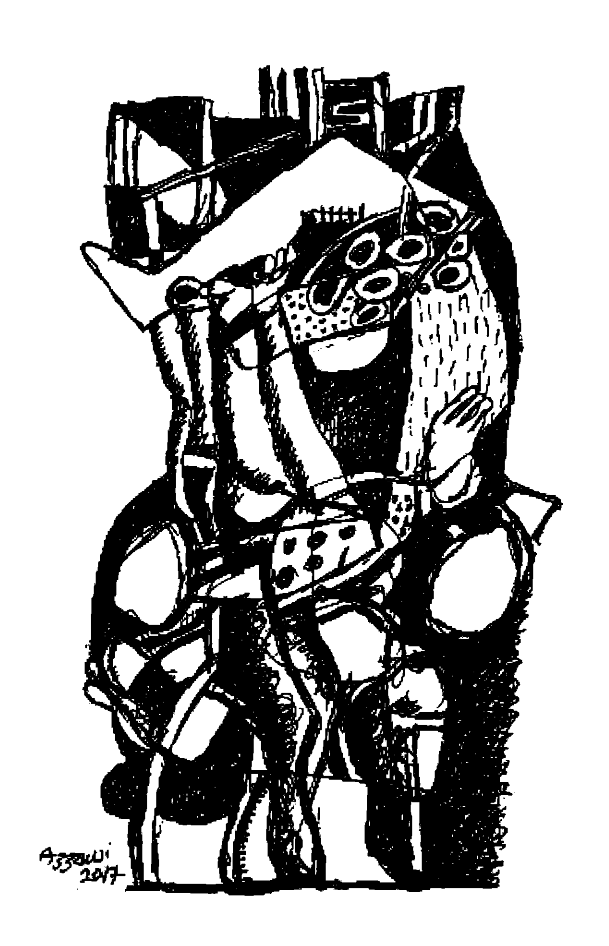
لا مَجدَ لصَفّاراتِ مَواكبَ مُظللة

اللّسانُ يُفاوضُ الوَهن..

السائر: مَذاقٌ أنْ تَعبُدَ أجفانَ الحذرِ

الحاضرُ في السواد: نَكهةٌ أنْ تُتقنَ مَلَكة البُكاء

الحالم: مَضغُ أزمانٍ تُدمِنُ يُسرَ الرثاء



أديمُ الحيّ.. مَجازاتُ الأسرار

«الرّاهباتُ»*(2)، اسمٌ لمُستشفى نَركُضُ إليه

ونَحقِنُ الأجسادَ بتحيّةِ المسيحِ مَرسُوماً على الحائط

وفي الشّارع، ذِهاباً وإياباً

ما منْ كنيسةٍ تُحصي أعدادَ من ترسُمهم اللحظةُ على الحيطان

مقهى إرخيته*(3) خائف

والبلادُ تَبعثُ إليه بَرقِياتٍ تلو بَرقِيات

«إيّاك، إيّاك وبيعُ الشاي للناسِ على الطُرقات»

قالتها -نِيابةً عن المتحدّثِ باسمِ البلاد-

رائحةُ ديناميت تَهُبُّ من الجِسورِ والبيوتِ والسيّارات..

شايٌ مُهيّلٌ بالخوفِ هو كلُّ ما نَشربُه !

طاولاتٌ وكراسٍ هي آخرُ ما نَملكُ من الحياة !

وأينَ هو إصغاءُ الحياة؟

تَسمعُ صوتَنا، فتبعثُ المُتعةَ مندوباً عنها،

تَجلسُ قاصدةً الرّأفةَ بأمواتٍ مُؤجلين

فيَتأخّرُ قُدومُ الشاي

تُغادرُ المشهدَ

وإرخيته عامرةٌ بالخوف

صَخبُ زائري الحيّ

وافتتانُهم بِمخالِ مَلابسِ النِّساء

وصدى لَهفةِ شابٍ للفوزِ بضحكةِ

شَقراءَ أو سَمراءَ من المارّة

تأخُذُك كُلُّها إلى سيرةٍ قديمةٍ لشارعِ «الداخل»

الكرّادةُ من بِدايتِها حتّى نهايتِها

تَتَقلبُ بَينَ صورِ السُرادقات وعُطورِ الفاتنات

والصُّورُ أنَفسُها تَتجاورُ في حيّ

يَبتَسمُ للمُتبرجات والمُنقبات

وللضحايا والأحياء الضحايا

الهُدوءُ مُتَدَرِّجٌ في هذا الفضاء

يَتَصاعدُ كلّما ذَهبت بك الخُطى إلى النهايةِ

تُجارٌ وباعةٌ مُتجوّلون وزبائنُ ورَسّامون يُؤنِسون براءةَ المسير..

تَمضي فتَمضي،

تأتي نَسَائمُ أكثرَ ألفةً

ولا سِرَّ تُخبئه الأنفاسُ

فالماءُ على اليمين

والنخيلُ يُضيءُ جهةَ اليسار...

هنا تُعلِنُ الجادريةُ*(4)

انتهاءَ حشدِ المرتاحين لخواتيمهم.

---

*(1) كلواذى: الاسم القديم للكرّادة وردت عنه إشارات لدى ياقوت الحموي (1178 - 1225) في «معجم البلدان» وفي مصادر أخرى.

*(2)الرّاهبات: مستشفى باسم «القديس رافائيل (الراهبات)» افتتحت العام 1950، في بداية شارع «الكرّادة داخل» بعد عبور نصب كهرمانة بخطوات.

*(3)مقهى إرخيته: اسم المقهى من اسم منطقة إرخيته في الكرادة (الداخل تحديداً)، والاسم لسيّدة كانت تملكها أوائل القرن الماضي، إذ يعني إرخيته، وهو مزيج من كلمتين سريانيتين، «طريق الكنيسة».

*(4) الجادرية: المنطقة البغداديّة التي تنتهي عندها الكرّادة الشرقية بشقيها «الداخل» و «الخارج».

* شاعرٌ عراقيّ، مواليد بغداد 1982، حاصل على البكالوريوس من كلية الهندسة بجامعة بغداد، من الأسماء الشعريّة التي نَشطت بعد العام 2003، عضو الإتّحاد العام للأدباء والكتّاب في العراق، صدر له في الشعر: «وحده التراب يُقهقه» عن دار الفارابي ببيروت 2009، و «حي السماوات السبع» عن دار الرافدين 2017، نشر قصائده في صحف عراقيّة وعربيّة، أحد مؤسّسي بيت الشعر العراقيّ ورئيس هيئته الإدارية في دورتها الثانية ورئيس تحرير مجلّته الثقافيّة الفصليّة «بيت»، ترجمت قصائده إلى اللغات: الانجليزية والإيطالية والبولونية، حاصل على جائزة دوليّة في المسابقة الشعريّة العالميّة كاستيلو دي دوينو في إيطاليا بعد اختيار قصيدته (بلاد بظل أشيب) كأفضل القصائد المنتقاة في العالم لعام 2009، أطلق في العام 2016 من خلال إدارته لبيت الشعر في العراق مشروع «مقاطع للمارّة» الهادف إلى تقديم الشعر في الفضاءات العامّة.



زاهر موسى

الأمر البسيط جداً
والذي يسمونه الشعر

عبر سنوات من القراءة أصبحت الكتابة ردة فعل، يبدو الأمر سيئاً للوهلة الأولى حينما تجد إن كل ما تكتبه هو جزر يلاحق مد الآخرين، لكن الأمر يغدو أكثر وضوحاً مع النسيان، فهذه الممحاة التي تطاردنا تمنحنا بطولة الكتابة البكر دون أن نشعر بوخز في الضمير.

الصورة الشعرية لحظة تمرد على اللغة والتي بدورها ليست سوى نمط عقلي يدير التواصل، لكن أن تكون هذه الصورة متمردة في صحراء اللا معنى هو أمر لا يجدر التفكير به، أظن إن التمرد يجب أن يظل في اللغة وضمن قواعدها وعلائقها وتوازناتها ويمكنه العبث بالمعنى في حدود الفائدة الممكنة.

الأشكال الشعرية مشكلة حضارية تتعلق بهوية ممسوخة لها أكثر من مصدر للفكر وآلياتها المعرفية مضطربة، لكن قصيدة النثر بكل الأحوال هي المحاولة الأبرز لتأصيل نص حضاري بلا منغصات، المشكلة تكمن في صعوبة الفصل بينها وبين بقية أنواع النثر وهو الأمر الذي يغري غير الشعراء على انتحال الصفة.

من المهم أن تكون مع الضعفاء فيما يريدونه ويحلمون به ويقتلون من أجله، هذا الجانب من العالم هو جانب الشعر ومكانه الأثير، الأقوياء لا يحبون الشعر كثيراً ولا يشعرون بالنقص في غيابه، لكن أن تكون مع الضعفاء لا يعني أن تكون ضعيفا، ما دمت تقاوم سلطة اللغة عبر كتابة الشعر فمن الممكن أن تواجه أياً كان.

الشروقي

أضلاعي بأيدي حطابين بعيدين

وروحي تسند الشجرة والظل

هذا مقام اللائذ بالدهشة

مصفد بالتلويح .. كلما أثقلت حقائبهم عيني

****

مرَّ بي أطباءٌ وسحرة

صار لي من نقوشهم جذعٌ

ومن تكرارهم عمرٌ أثقلتهُ التقاويم والرتب

وحين غامرتُ بيدٍ من عطبٍ وأصفاد

لأُعيد النهرَ .. أُفلتهُ من ضلالِ العطش

خذلني دمي القليل .. القليل جداً

وتيبّسَ في دلتا بعيدة

****

الجذرُ وبذرتهُ العمياء موتى

أتذوقُ في مراثيهم الطين

وأنظرُ إلى شواهدهم تجتاحُ جسدي

وكلما تسربتْ غرغرةُ الهورِ إلى أكفانهم الجديدة

ارتعشتْ في وحدتي الأشباح

****

ثماري السمراءُ أيتها الحربُ

الجنينُ النازحُ والعريسُ الذي قبلتهُ حبيبتهُ في لافتةِ الشهداء .. المدنُ

منزوعةُ القلب واليتامى المكدسونَ في الانتظار

إنهم ثمارٌ لحصادكِ الوفير

وطعناتٌ في خشبي النافر

وغيابٌ أسندهُ بما تبقى



صلاة الرب

أبانا الذي غَزَل السماءَ حولهُ، فكانته وكانها

ليكن اسمكَ دالّاً عليكَ، مقدسةٌ حروفهُ أو حادّة اللون

ليأتِ ملكوتكَ هادراً فنرتجُّ له من الداخل

ليكن ما تريده أنت، ما تتركهُ في الجباه عند لمسها

وتتشابه الأرض مع السماء في ذلك وأكثر

أعطنا ملء أفواهنا من الخبز أو يدك نعضّها فجوعنا مخاض

واغفرْ لنا نسيانك فقد كان الوقتُ طويلاً

مثلما غفرنا لبعضنا البعض أو نسينا الغفران

لا تدخلنا في الابتلاء، فقد أصبح ذهبنا صافياً

ولكن كُنْ أقرب من الشيطان

من غيرك يملك عرش وجوهنا

وأثر القوة في ظهورنا، والمجد

دائماً وأبداً

آمين.

* شاعر من مواليد بغداد 1982، حاصل على شهادة البكلوريوس من جامعة بغداد- كلية التربية- بن رشد، عضو اتّحاد الأدباء والكتّاب في العراق، وعضو الهيئة الإدارية لنادي الشعر التابع لاتحاد الأدباء والكتاب في العراق 2008 و 2009، نائب رئيس الهيئة الإدارية لبيت الشعر العراقي في دورتها الثانية (2013-2017)، شارك في مهرجانات عدة في بغداد والبصرة والنجف وأربيل وواسط والديوانية وفي فعالية "Real" باستكلندا، أعد لكتاب "أكثر من قمر لليلة واحدة" و هو مختارات شعريّة لشعراء ما بعد 2003، له في الشعر: مجموعة مشتركة مع الشاعر الشهيد عمار عبد الرزاق بعنوان "قمران و ليلة"، سكرتير تحرير مجلة نثر الفصلية، وعضو هيئة تحرير مجلّة "بيت".



صادق مجبل

خجل أقل

من أجل اللحظة التّي لا أفهمها للآن، حكمة الندم وحرارة الإنصات إلى بئر الذات، أكتبُ لأصلَ العمق مرّة وألامسَ صورتي هناك، منذُ طفولتي كنتُ أخطُ بالقصصِ الخياليّةِ يومي خصوصاً عندما أواجهُ غضباً أو عدم تحقيق أمنية صغيرة، كنت أبتدعُ الفنتازيا وسيلةً للدفاعِ عن الخسارة و للهرب منها، أجدُ فيها ما يُلبي النداء الداخليّ نحو إسكات الهوس وغليان القلق، والتعويض عن الكثير من الذهول غير المُفسّر لكنّي لَمْ أكن أدوّنُ هذا الإنصات على ورقٍ وقتها، لَمْ أكن أعرف أنَّ الشعرَ سيكونَ يوماً ما مستودعاً لهذا.

الإلحاح يبدأ عندما تشعرُ بانّ الذكرياتِ ستهربُ، وتطيرُ مِن هاجسكَ اللحظة، وتفلتُ لذةٌ لا تستطيع تفسيرها من يدك، حين بدأ هذا الخوف يتَسرّب إليّ التجأتُ إلى الكتابة كوسيلةٍ للبقاء والاستمرار، واحدةٌ من أشكال صراع البقاء ومواجهة النسيان والخوف من ضياع اللحظات سدى، وسيلة الكتابة.

دائماً تمثّل الطفولة بكل ما فيها من تعقيدات وذكريات وتفاصيل، الرصيد الخصب للتجربة أي تجربة كانت سواء إبداعية أم تشكّل الشخصيّة بصورة عامة، انسحابُ الحيرة والعبث في ممرّ الحياة ترسيخ المعنى الآتي وإذكاؤه، وهذه الفترة الزمنية لمْ تكن طبيعية سلسة بَلْ كانتْ ممتلئة بتراجيديا، بحزن، بمجهول يترصّد أعمارنا سنةً سنة، لأن طفولتنا كانت متزامنة مع

حصار اقتصادي ونظام ديكتاتوريّ والحربُ تلمحُ في كل آن، أوغلنا في نشرات الأخبار بما نسمع من أحداث ومخاوف وإنذارات بحروب قادمة، وفي الجهة الأخرى حكايات الغيب التّي أحالت خيالنا إلى مشغلٍ مستمرّ وأسهمت في خلق نبوءة خاصة بنا، نهايةُ الزمان التّي نسمع أحاديثها بشكل متواصل كانت تمثل لنا آخر نقاط هذا النفق المجهول، كانت علامات الظهور وآخر الزمان تتسرب إلى أسماعنا منذ الطفولة، لذلك نمتْ عندي رغبةُ اختيار علامة للظهور، ظهوري الشخصيّ و كتابة كتابي الخاص، عبر أي شيء كلمات، نصوص، حكايات من الخيال، ربّما أكثرها لم يكتب أو ما كُتب منها لم يصل إلى التعبير التام والحقيقي هنا، هوس دائم في الوصول إلى الغيب الخاص الذي يكمن داخل الذات لاختيار رسالتي التّي أواجه بها العالم، لكنها ليست رسالة هداية لأحد، بل رسالة طلب إنقاذ ! رسالة خلاص شخصيّ أهشُ بها عن اسمي في مواجهة العدم.

محاولة لرصد حروب غير تلك المعلنة منها، إنها الحروب الخفية التي لم نجد تفسيرها منذ أن بدأت ولم نفهمها، وحتّى لحظة قائمة تسير معنا ونجهلها أيضاً !

...

رغبة الاستماع إلى نفسي هذه كبرت معي وبدأت تتدخل باختياراتي في نمط الحياة والقراءات في تحديد القادم من الاشتغالات، اختياري لدراسة الطبّ متأتٍ من هذه الرغبة، في معرفة مسكّن يشبه مسكنات الألم عبر الكتابة، اخترتها كعلاج أيضاً متحملاً كل الآثار الجانبية التي أعيشها، الأبعد من ذلك هو ميلي باتجاه اختيار الطبّ النفسانيّ كتخصصٍ يندرج ضمنها، ضمن هذه الرغبة في الإيغال عميقاً والاستماع عن قرب وبوضوح، وفي الوقت الذي يقوم هذا التخصص بمعالجة الناس بالاستماع إلى أحاديثهم وانثيال عقلهم الباطن في الوصول إلى عمق أكثر، أنا أختار ذلك لأصل إلى نفسي أولاً، لينطلق النصّ من أجواء الحوار الداخلي الذي يجري بين تناقضات ورغبات وصراعات وعواصف تجتاح الكيان الخاص بالفرد، وعبرها أرى الوجود.

كنتُ في الكثير من الحالات والأسرار أنجح في الوصول إلى تفسيري الخاص، أنا أميل إلى علم النفس بالفطرة أراه موهبة يمتلكها الكثير لاكتشافها لذة ومتعة، وتلتقي كثيراً مع الشعر إذا ما اتفقا في هذه الطريق الواحدة نحو العمق نحو المجهول و "ما الغايةُ إلا مجهول له عنوان" (من نص لي). وهذا يتوافق أيضاً مع ميل اخر لاختصاصات جراحية ترى في المشرط

أكثر من أداة تتمشى على جسد.
أطمحُ إلى صنع تجربة فردية تمثل حياة شخص عاش في هذا العالم ويدرك أن عالمه لم يبدأ بعد، يكتب ما يراه بأنه ندم أيّامه القادمة، وصرخات إنقاذ من أجل لحظة فاتت واجتاحته، يستقبل ما مضى من العمر.
لم تكن النصوص التي كتبتها تعبيراً حقيقياً ومتكاملاً عن هذه الرؤية حتى الفترة الأخيرة التي بدأتُ فيها أكثر انحيازاً إلى حياتي، إلى يومي، إلى مشاهداتي وذكرياتي، تخليتُ عن الكثير من الأوهام التي أتت إليّ من خلال قراءات الآخرين، بدأت أكتبُ من دون اكتراث بالشكل، وبالتسمية أو بوضع النص كيف سيكون؟ وأين سأضعه ؟ فقط تدوين لما أمر به أو هو ما يجب أن أقوله لأتنفس.
يمكن أن يكون عمر تجربتي حتّى كتابة هذه الكلمات 9 سنوات بدأتها باختياري لقصيدة الشطرين الموزونة ثم قصيدة الوزن غير المقفاة (التفعيلة) التّي مر وقت طويل وأنا أكتبها وأيضاً كتبت قصيدة النثر، لست منشغلاً بأي تسمية الآن فقط أكتب، وجدتُ في النثر ما يلبي هذه الأهداف كخيار فني يتناسب مع ما أطمح ومع ما أريد قوله، لذلك وضعت في مختاراتي نصاً من نصوص البداية (اللائذون بالحروب 2008) ونصاً كتبته مؤخراً بداية 2017 لأبيّن أن التحولات مستمرة في كل تجربة.
بهدوء أتابع ما أكتب برغم الانقطاعات المستمرة عن الكتابة لفترات، لكني أؤمن بأن النص إيغال في نفق سراجه حكمة ميتة وإن نهاية المتاهة موتها، أكثر ما واجهني في رحلتي هذه وبالتحديد فيما مضى منها هو عدم الجرأة، ولعل هذا التقصير نابع من الفترات التي انقطع فيها، وأيضاً من عدم التركيز على تجربتي الخاصة، وعدم الجرأة هذا أجّل ظهور كتابي الأوّل- بعد سنة من الآن سيمرُّ عقد كامل على أوّل نصٍّ نشرته- ولم أطبع حتى لحظة كتابة هذه الكلمات.
أرى في الكتاب وثيقة ادانة مستقبلية اذا رافق الاستعجال التجربة، وسعيد لأنّي لم أقدم على الطباعة وقتها، فالكثير من الرؤى تغيّرتْ، واليوم سأنظر بخجلٍ أقلّ إلى كتابي باختياري عدم الاستعجال، أقول خجل أقل ولا أقول رضا أو قناعة؛ لانّي أدرك تماماً إن عدم القناعة يلازمنا دائماً في رحلة الندم هذه.

نص

.

من دون أيّ تَخْطيط

كما أعيشُ أنا تماماً

ستحصل أهمُّ الأشياء لهذا الكوكب

نهايته مثلاً

النهايةُ الخوف الذي يهدِّئُهُ يقينُ الغياب

وتقدّسه الانتظارات.

بصرخةٍ سيتوقف كل شيء

أو بعاصفة تشبه فوضى أيامي

أو سينتهي بنيزكٍ منفلت

يدور في رأسي كفكرة أتخذها تجاهكِ .

على كل حال سينتهي العالم فجأة

تتلعثمُ الأنهارُ وترتبكُ الأبواب

ولَنْ ينفع الشجرة ندمها على الوقوف.

سنتحرك بإتجاهِ هاوية أُخرى

نتكئُ على الريح لنضلّ الوصول

بينما ونحن نركضُ ننظر إلى هذا الكوكب

وكأنه نهر كبير يمتلئ بالعطش .

والغريب الذي يجلس في هامش التفسير هو أنا

لا تقنعه نبوءة

مدركاً أنّ العالم لَمْ يبدأ بعد.



رسائل ليست في متناول اليد

(1)

بطُهركِ الذي حوّل تصادم الأيّامِ في عمري إلى نهرٍ من الطمأنينة وروحي إلى شلالِ خوفٍ بريءٍ، خالٍ من الانتظارات المملة والمصادفات الّتي لا ميثاق لها.
بكل هذا كنت أعرفكِ منذ كنتِ تحطينَ في بيتنا على شكل دعاء تردّده أمّي فأكفّ عن البكاء دون أن أفهمه، منذ كنتِ الكلمةَ التي تدلّني على أبواب المراد والأمنية التي تلتف حول أيامي بشكل خرقة خضراء تدور على معصمي حتّى آخر العمر ولا نلتقي، منذ أن سقطتُ في نفقِ الحياة وكنتِ النّورَ الغامضَ.
وبعد كل هذا أقف منكسراً أمام استقامتكِ البيضاء تردُدُ ألوانكِ طفولتي فأخجل من قولٍ يصفُكِ وأودُ لو أختفي.. وفجأة لا أجد في يومي سواكِ مُحيطٌ ببياضكِ.. صرتُ الجُملة التي لا يهجسُ بها الشّعراء والفتى الذي لا يرى في الدرب سوى المتاهة وفي آخر النفق إلا نورك الغامض الذي يعرفه .
6.5.2017

(2)

مُخَبَّأَةٌ في قلقي، في خبايا غفوتي في دخان الذكريات الذي يُسمّى روحاً، في الحكمةِ التي لا أتقنها، في غموضكِ السحرِ، في دهشة ورقة بيضاء تبدين باذخة المستحيل عليها، في إنارة الشوارع تختفين حتّى تعذبني المفاجأة، تمسكين الصباح حال ذهابي للجامعة فأحضر متأخراً ليبقى اسمك شفافاً في سجل الحاضرين، أخاف عليكِ من قلقي هذا من اختفائك خلف جملة "صباح الخير" التّي أُسرفُ كُلّ ليلي مُفكراً بطريقةِ نطقٍ مناسبةٍ لها، من جهلي بكِ طوال ما مضى من عمري، من معرفتي بكِ في لحظةٍ لا تجيء، من تحولنا إلى حكمةٍ في لسان العدم.
من ضحك الينابيع بالغة البراءة أخافُ عليكِ.
مختبئة خلف الأعذار التّي أبررُ بها كسلي وذهني الشارد نحوكِ، في سحرك الغامض أتلاشى، أنا نهرُ العذوبة الّذي لا يعرف طريقاً سواكِ، الطفلُ الذي يهزُ أيّامه حتّى تنامي مطمئنةً

دون أن توقظك كلمةٌ منه، شحّاذ الهدوء من قلبهِ كي لا يخدشك بعبارة إعجاب واحدة، هكذا من خلف زجاج العالم أتمتمُ بالأدعية التي أحفظها على ظهر تردّدٍ وأردّدُها بصوت يتقافزُ فيه اسمكِ.

غاية آمال عاشق مثلي.. هذه أمنية الوله الذي يتوسدُ صفاء روحي، كل هذا حتّى يُكتبَ للعالم عمرٌ جديدٌ وتتأخر النيازك التي تتوعد بالقضاء علينا، حتّى يتبادلَ الأطفال ضِحْكَاتِهِمْ دون خوف حين تظلّلهم ابتسامة تشبهنا.

هكذا أحمل أمنياتي وأنام دون أن أخبركِ، دون أن أطمح بحلم واحد ينبئُ بنهايتنا، أصبحتُ أدرك أن أجمل ما في سماء روحي نجمتك التي تضيء ولا أصل إليها وأقسى ما يضيء حياتكِ هي شمعتي التي تحترق ولا ترينها.

لا أريدُ أن أحبّك، هذا كثيرٌ على ارتباكي، يخدش صورتكِ التي تعلّق قلبي عليها، أريدك الدعاء الذي يُنقِذ العالم ويبدّد الدخان الذي أسميه روحاً.

أريدكِ بخير كي أعبرَ الشارع مطمئناً وأدخلَ بيتي بفرح أريدك ألّا تَعْلَمِي بعاشقٍ مثلي يخبئكِ في كل نبضة، أما أنا فلَنْ أكمل الأغنية خوفاً عليكِ.

(3)

مطمئناً إلى نهايتنا، هناك محاولات بأن أنساكِ كي لا تجرحني نهايات الأغاني الحادة، لكن كل منا سيذهب بطريقه، أنا سأذهبُ عميقاً إلى الصحراء، وأنتِ ستذهبينَ عميقاً في مخيّلتي، وما يطفو فقط كلامي الفارغ هذا، لأنّ الجهرَ يثقل الجملة ويحوّل الأبرياء مثلنا إلى كلمةٍ عاديةٍ، ولأنَّ الكتمان يثقل قلبي ويخترقُ الكتابة، تماماً كما يبزغُ اسمكِ لي كل صباح، كما تضعين يدكِ على الهواء فأستبشر بيومٍ لطيف، مطمئناً إلى هذا العالم لأنّكِ هنا، لا أهتمُ لدرجة إمتحاني القادم ولا لفوضى البلاد، ألفظُ اسمك فتضحكُ الوردة التي في قلبي، تلك التي غرسها ملاكٌ مثلك دون أن يدري ثُمَّ غاب.

10.5.2017

(4)

روحي هذا النهر الماثل في الأيّام..نهرٌ لا يخبرُني بسفره، فحقائبي أقلُّ من الوداع وطريقي فجرٌ يتأرجح بيني وبينكِ، أنتِ قبس العارف في وحدته وأنا ضياع المريد.

أثناء ما كنتُ منشغلاً بالأشياءِ المهمة في حقائبنا الفارغة ماتَ في خطوتي الدليلُ لتشع الوحشة، وينسكبَ على القنديلِ ليلٌ غزير، يتوهجُ السرّ في الظلمة وأعترف: ما زلتُ أريدكِ لانّي أجهلكِ لأنّك تسقين عشبَ براءتي بالمزيد من العطش!

(5)

وحدتي هذه خالية من أي شيء تماماً إلاّ من أشياء بسيطة لا تُذكر، ولا أهمية لها، فكرةٌ عنكِ تعصفُ ببالي بدقةٍ، وساوسُ الملوك تعتريني في هذه اللحظة، حيرة من أضاعَ يده في ظلمة الوداع ولا يُكدّرُ مياه شطّ البصرة سوى ظنوني وبعض الضوء الخالي من وجهكِ وسؤال بسيط يعيش في رأسي: كيف أنتِ الآن ؟ هل تطالع حيرتكِ النجمة التّي تدكُ رأسي كجاسوسٍ صديق، هل يمرّ الهواء الرطبّ على نافذتكِ وكلما ارتجفَ قلبي بعثرَ الهواءُ أوراقك وضاعت فكرتكِ عن أهم أسباب عدم انتظام ضربات القلب المفاجئة؟ كل ما يشغلك هذا.

بينما ما يشغلني أنا هو وجودكِ السبب الوحيد لارتجاف قلبي وخراب البصرة وازدهارها .

وحدتي هذه مكتظة بما في يدي، وليس في اليد حيلة.

(6)

الغبار الّذي نفضتُه عنّي هو أيّامي الماضية، وارتديتُ ضوء يدكِ البعيد، كنتِ الطير الذي يزلزلُ قفصَ الرّوح بالكتمان وجناحي في متاهتي هذه اسمكِ، أقلبُ الضوء بحثاً عن لحظة تجمعنا مدركاً ألّا وجودَ لها إلا في تفسير الأحلام وأبراج الحظ الخاسرة ذلك العزاء الوحيد الذي يصدق معي، وأنا أكرر دعاء الحبّ وأسهو في مناجاة العاشقين كلما وصلتُ الى حرفِ نداء.

الورطةُ الصالحة للحياة أنتِ متاهتي وخَلاصي الشخصيّ الوحيد فأنا الأعمى الذي كسرَ عصاه مستنداً على ما لا يرى

أشيّدُ من عثراتي تماثيلَ تقفُ في انتظاري، أزيحُ الغبار عن نوافذ الحافلات لعلّني أجدُ دليلاً عليك أفتش في بقايا قطرات المطر عن ضحكتك.

وحيرتي هي الغبار الذي يغلف البراءة.

(7)

كنتِ التفسير الذي عرّفتُ بهِ روحي للضياء فكان أقصرَ من دأب النّار على التوهج وأطول من تعلقها بالرماد.
الرماد ندمها الجديد وشيخوخة النور في قلب البهجة
وأنت الغيوم التي تلامسُ تأرجح اليوم في كوب المسرات فيبتهجُ الحقل وتغني الطيور أما أنا فتتراكم خطواتي في الوحل.
متوجاً بالوساوس أشطبُ ما قلته للضياء
لأكتبَ :
التفسير الذي عرفت به روحي أنتِ
أنت ملاذُ الظنون التي في رأسي تستريح
البريق الذي كَسَرَ استدارة يومي المتشابهة
الحكمة التي قتلت فيّ الندم الآتي
الغموض الذي كلّما تمعنتُ به يرقص قلبي من الفرح.

(8)

يدقُّ قلبُ الطيرِ كلّما ذكرتُ اسمكِ فأطيرُ من الفرح، وأقعُ في إعجابي لتوهج وجهك عندما أحترق. لأنّكِ الملاكُ الذي يسجّل في يميني غياباته وأسجلُ في جهة القلب انتظاري لاستحالة أن نكون لبعضنا، ألملمُ أفكاري وما تبقى من حروف اسمكِ وأتأمل المارة والحافلات والأشجار الواقفة بانتظار الرّيح مثلي، أقرأ العناوين في لوحات الإعلان والمسافات بين المدن ورغم كل هذا أجهل كم هي المسافة التي بيننا وكم تبلغ درجات المستحيل الأكيد.
مساء الخير .. لأنّكِ نقاء الزجاج الذي لا أرى صورة الحياة إلا عليه، لأنكِ الابتسامة الوحيدة التي أتمسكُ بها وأنفذُ من خلالها إلى العالم .

(9)

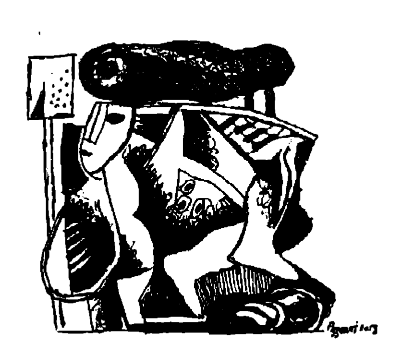
يضجُّ يومي بهدوئكِ المتكبّر، بضحكتكِ الّتي تطيرُ بي نحو الناس، لأتذكر الوحيدين

والمجانين والغرقى، يعطفُ قلبي على العشب الذي يحلم ببراءتكِ والثلج الذي لم يكترث للبياض، بياضِكِ واتقادِ الوقت بَيْنَ أصابعي، بذوبان نظراتي في الفضاء القليل الذي بيننا وفي الحلم البعيد الذي لن يجمعنا، بحيرتي حين تختفي الفراشات بوريد أغنية .
أنتِ الإجابة الصحيحة الكافية لنجاح العالم ولا أستطيع التصريحَ بها.
عيني في الأرض وخجلي على خديكِ، أحلم بأننا الآن على حافة غيمة نستفز البياض بالضحك فتمطر السماء بكل جدية، نلهو في حقول الفرح طِفْلَيْنِ اكتشفا لذة التعبير عن الحلوى .
وبينما ننظر هناك يرمق أحدنا الآخر فنختفي، ويكركر الملائكة الصّغار وفجأة نعاود معهم من جديد، هذا حلم خاسر لكن الحقيقة هي الانتظار
والانتظار هو الحب الذي سيصلح ما تكسّر في ملامحنا من الذنوب
الطريق التي نسير فيها ولا نصل أَبَداً.

(10)

في قلقٍ شهيّ تتأرجحُ في ليلي نهاية روحي التي أتعثرُ بحقيقتها كلّما أخطأتُ العدّ.
تضيعُ الأرقام منّي لأنّكِ واحدة. وعندما أنسى اللغة يتدفق في دمي اسمكِ احمرار الحياة والحلم الذي لا ينتهي
اسمكِ المخبوء بفمي كطعم أكتمُ وصفه،
وأدرك أن أَلَمَ أسناني هو ضحكة ميتة
أؤجلُ حياتي كثيراً لأنكِ تسيرين في ممرّ روحي غائبة عن الوعي.
الوعي كلّ الوعي
هو أن تعرفي أنّي لا أحبّك فقط
بل أؤجل حياتي للمرّة المقدسة لأجل أن تنفذي من بين لمعان الفضة إليها.
تتمسكُ بِكِ كعذرٍ طفوليّ، ولا تنساكِ كندم.

* شاعر وكاتب، مواليد مدينة الرفاعي في ذي قار 1989، التحق بالدراسة متأخّراً ودخل الثانوية المسائية في الفرع العلمي، ليدرس بعدها في كلية الطب بجامعة البصرة، حصل على جوائز شعرية داخل وخارج العراق ونشر في الصحف العراقية والعربية، مجموعته الشعرية الأولى مُعدة للطبع.



صفاء خلف

عروستان في مخدع الغريب

تتحطمُ إرادة الكتابة، تتساقطُ الكلمات التي نُحتت بقسوة في جوف الغريب على أرض مجهولة اسمها "الجدوى"، فهل تنفع الكتابة بوصفها مصدّاً ؟

تكثُرُ التساؤلات حين لا يتمرأى في رأس الكائن سوى فراغ أصم، خبيث، يحسن اختيار منطقة مخروبة في الذاكرة ويجعلها باباً لقتل ضئيل في الروح اسمه "الأمل".

يتصارعان، يلتزمان الصمت، يعودان للاشتباك برأس الشاعر الغريب، يصطدمان بطفوليته التي ترفض ترتيب الواقع بشاكلته المُرّة، تدفعانه للانزواء بداخله المنكسر، المتشظي، كم هما لئيمان.. "الجدوى" و "الأمل".

حين يخال الشاعر الغريب، أن صراعهما المؤذي لشاعريته قد فَضّ، يجدهما يختبئان في شقوق القلق، ونتف الشظايا المبعثرة على مدى المخيّلة والروح...

"الجدوى" و "الأمل"، غولان محمومان بقتل الشاعر الغريب حين تراوده طراوة الحياة، هو يخرج من عزلته في كلّ مرّة ليلقى الأسئلة ذاتها التي تدور في فلك حائر لا يجد له رسواً في الروح القلقة، فان تمَرد وجابه، باغتته جيوش الذاكرة المحمومة، بدق عنق تفاؤله بجرن الكآبة.

هل ثمّة خطيئة أقسى من الكتابة؟!

الكتابة التي تخلق لك – أيّها الشاعر الغريب- الملايين من الأعداء في بقعة صغيرة جداً لا تحتمل مغامرة أن تزحمها بعداوة جديدة، أعداء يتوزّعون بشراسة بين الماضي والمستقبل، فالحاضر ماكنة نشطة لصنعهم!!

الكتابة تُسائلُكَ عن "الجدوى"، فيما يقف "الأمل" كفارس مغرور بناصية الرأس، يدفعك - أيّها الشاعر الغريب - إلى حرب خاسرة أخرى بـ"التأكيد"، تتوزّع كثعبان برأسين عتيدين لتنافح خصوم "جدواك" و عرائس "أملك"، فلا مستقرّ لهذا الاضطراب الدائم في ذاتك، سوى أن تسلمها للصمت، وتتفرّس بعينين جاحظتين الى مصيرك الخائب.

الاختبار الأهم في الكتابة، أن تحقق شرط "إنسانك" "الملائكي"، مع "إنسانك" "البشري".

"الجدوى" من الكتابة، أن تحقق شرطك الإنساني فيها، أن تمرّر خيباتك إلى العالم بهدوء وقناعة، أن تجد باباً بحجم "الأمل" الكريه بداخلك لتستغفر تفاؤلك، انه تعريف لائق لكتابة خانقة ومميتة.

"الجدوى" في الكتابة، أن تستأصل سرطان التعالي الوضيع الذي تكوّن منذ أوّل خدعة صنعتها موهبتك في هذا العالم بوصفك شاعراً. متى ما صرت وضيعاً أكثر أمام نفسك، صرت تملك الشعر دون قلق.

الكتابة شيطنة بشرية رائعة، لكنّها تسرق لذة التصوف في الكلام، "الأمل" يعشق التصوف. و "الجدوى" خائن كبير لمعنى الكلام، ليس التمرّد من يقهر المُحال، انه الغضب الذي تكبّته وتكتبه بروحانية.

"الأمل" و "الجدوى"، تمرينان عظيمان لمن يحمل الوهم كبذرة تكبر مع الأنانية.

لِمَ تسرقُ وردة السواقي الملبدة بالحزن، وتدعي أنها نبتات تشرق بالتفاؤل، أنت تكذب حتى تخترع لذاتك صفة معتوهة اسمها الأصالة! هل الحزن معبر آمن نحو "الأمل" و "الجدوى"؟

أفكر...

أجتزئ مقولات، أضعها في مختبر الأيام والأرواح والجيوب. أجد حريّة التفكير لم تكن وحدها هدفاً لعيش الشاعر الغريب، فالحرية حبس أكثر مرارة.

الكآبة، خيط المرارة الدال على الاشتعال، الوجه الذي يسلبنا قوة الإبصار، الرغبة المحمومة في جلد الذات حين لا تجد فراغاً أكثر اتساعاً من الفراغ.

الكآبة أكبر متهم بإثارة سؤال "الجدوى"، وأكبر المتواطئين بتغيب الأمل،
لكنهما معبر آمن للتأمل، هل تملك غيره في هذا العالم؟
الكتابة رئة وحشية، وزفيرها الحار يطلقه في عراء العالم شعراً ... فحسب.

الدخول إلى الألفة

لا تقلق. فقط كن أكثر ألفة.

حبة رمل، أنت بعاصفة معتوهة، ما الذي تخشاه أكثر.

الكثرة مُستلقية على ظهرها، تداعب الخيبة كقطة ثلجية كسولة. وأنت

ترتعد، فتكون حبة رمل في الكثرة مُستلقية.

لا يمرُ عابر إلا وخطف بهجة. حينها تهجس القلق حرّاً، مُغيراً،

فكن أكثر ألفة.

شاسعة هي المدن، تنثرُ بَشَرها، ولا تحتسب.

في المدن، تنتشي المصائر، فاطلق عينيك، دعها تكون أنفاً،

فالذي لا يروق لك، هو مسرّة غيرك، وأن كلّت عينك عن المعنى،

اجعلها بياضاً جامداً كمن يلقط الألم.

xxx

المراكب التي تمرق بالماء، بعيدة.

تظنُّ النسوة أنّها أكبر من القرية،

وأصغر من قامة رجل.

فكن أكثر ألفة.

xxx

لا تفطن، إنْ صرت تمكث بالتفاؤل.

فحين تمدّ ظلّك على الماء،

وتهجس لوعة الطفلة وهي تفرش البياض خلف حائط الطين

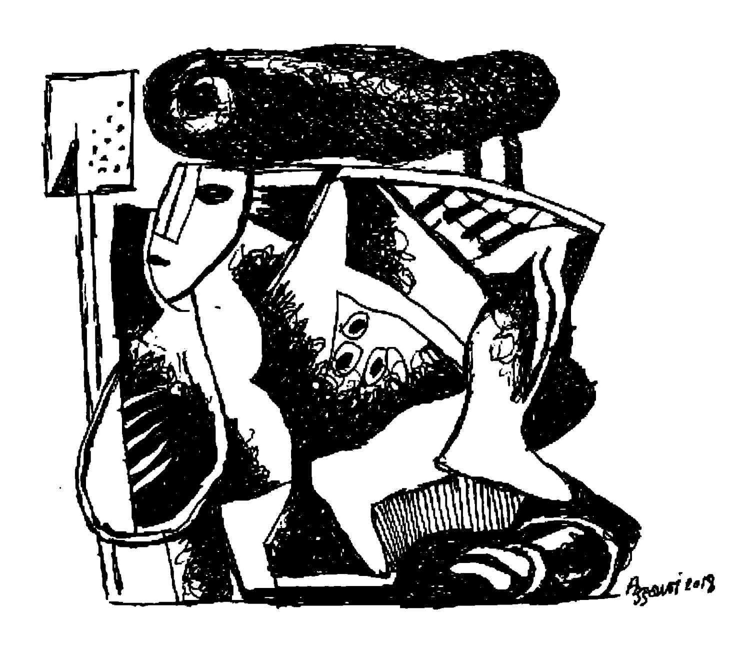
لن تكون حبة رمل، بل أنت لذة طافحة في حكاية.

xxx

لا تكن قلقاً... كن مطواعاً فقط.

دع المخيّلة تتداعى، وسيطفر الهوسُ،

قريباً من السطح وعميقاً في الهواء.



أفكار الفراغ

تَحارُ الفكرة بنفسها،

تلقي ما تمتلك من ثقل في الفراغ.

وتحار فكرة أخرى بنفسها أيضاً،

وتلقي ظلها في الفراغ ذاته.

وتحار فكرة غيرهما بجدوها

فتخترع لها حيزاً في الفراغ . وهكذا...

يزدحم الفراغ بالأفكار وظلالها،

حتّى تجد من يلتقطها بفراغها ويدحشها برأسه...

حينها، تلقي الأفكار نفسها في الفراغ مجدداً .

حواس مستعملة

تتشكّل حواسي طبقاً لجهلها بالعالم.

ويتشكّل العالم طبقاً لمعرفته بحواسي

وبينما أحاول أن أفهم،

كان الكثير من الوقت يمر،

وكثيرٌ من الحواس تتعطّل.

فيما العالم كان ينتج حواسّ جديدة،

وعليّ أن أقطع وقتاً مضافاً من أجلها،

وأن أرمي بالقديمة التالفة بعيداً.. فيتلقفها العالم.

كم أنت ماكرٌ أيّها العالم!

حدث يومي

إنقضي أيّتها الرحلة.

إنقضي أيّتها الحيرة بوحشيتك الآسرة.

إنقضي أيّتها اللامبالاة بوصفك يوميات مربكة.

ولتعد كل الخراف التي كرهت أن أسرح معها في البرية إلى البيت.

لتعد كل الساعات الى باحة الوقت لأجد البساطة.

لتعد كل النيازك التي لم أعرف وجهتها يوماً إلى سماء القرى.

لتعد كل الهموم الى مخبأ الطفولة.

لتعد راحة كفي بريئة.

تعبت من هذا التشابك البشع لمصير الرحلة.

أحلام الصانع

أحياناً...

أتمنّى أن أكون خراطاً أو صاحب محدلة

أبرش الحديد أو الأرض، وأسوي صلافتهما،

وأرفع يدي لأمسح عرق جبهتي،

ولا ألوح للأحلام القتيلة بالتحيّة.

حكمة أن يكون المرء خراطاً،

بأنه يكسر هيبة القسوة بوضاعة الحديد نفسه.

نكتشف إنّ المهانة لا تجيء إلا من مثيلها،

والخراط هو إبرة الطبيعة الغافية.

أما فكرة أن يكون المرء صاحب محدلة،

فلأن الأرض كما الروح،

تحتاج إلى معزقة بليدة حتى تكون مريحة

الروح كما الأرض، غامضة، متجبرة، متعالية

وحده الخراط من يصنع المحدلة.

وقت باشط

معظم الوقت، لايصلح أن يسمى وقتاً

فالغيمات لن تصير فؤوساً باشطة.

أيها المحتطب

امح أثرك نحو الشجرة

دعهم يتيهون بعدك في الغابة

علك تمنح الروح المقطوعة وقتاً لتزهر.

تحيّة الثعالب

أفكّر أن أطعن اللؤم، بنابِ أيّامٍ حادة.

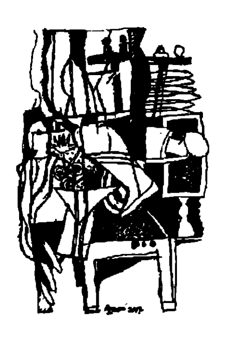
وأرجم الوقت الذي لا ينقضي في العزلة، بكثيرٍ من الاحتقار .

وأمنح نفسي، حقّ التمتّع بمؤنة الرحالة الذين يمشطون الصحارى بالسماء الناعمة.

وأتكلّم بصوت كل المهجورين في براري خساراتهم،

لأكتب جملة واحدة: صباح الخير أيّتها الثعالب!

* شاعر وناقد، من مواليد البصرة 1982، ناشر ورئيس تحرير مجلّة نثر الفصليّة (2010 - 2011)، عضو اتّحاد الأدباء والكتّاب في العراق (2003)، رئيس ومؤسّس نادي الشعر في البصرة في دورته التأسيسيّة (2007 – 2008)، شعرياً له: "زنجي اشقر" دمشق 2011، ونقدياً له: "أقنعة القصب- قراءات سيكولوجية في قصيدة النثر" بغداد 2012، وكتب العديد من الدراسات النقديّة عن التجارب الشعرية العراقيّة الجديدة، له عدد من الكتب البحثيّة بالاشتراك مع كتّاب آخرين. يعمل باحثاً انثروبولوجياً وصحافياً مستقلاً، وحائز على جائزة (نسيج) لأفضل كاتب عن قضايا التنوع الثقافي والتعدّدية في العالم العربي والممنوحة من الوكالة الفرنسية للاعلام الدولي (CFI)، ومؤسّسة سمير قصير، ومؤسّسة اديان للحوار (2017).



علي محمود خضيّر

نردٌ على سفح بركان

الوجه الأوّل: الحاجة إلى القول

في حرب (2003)، كانت عائلتي قد استقرّت مع بعض أقربائِنا في بيت كبير بناحية (الحفريّة) بمحافظة واسط، تخفيفاً من وطأة القصف. انتظرنا الحرب داخل بيت بطابقين ضمَّ أكثرَ من ثلاثين شخصاً. كان الجميع يرقبُ ساعات اليوم البطيئة مُصيخاً بسمعه إلى الخارج، شاخصَ العينِ على نحوٍ مُفجع. عيونٌ يائسة استسلمت لقوّةٍ أكبرَ من إرادتها. كانت نزهة على حافّة الجحيم. كلما مرّت أيّام الحرب يزداد الوضع سوءً ورعباً، النهار هادئ في البلدة لكن الليل صار ملعباً كونيّاً للمقاتلات الأمريكيّة. الجمعُ مرعوب، لكنه صامتٌ. لم يعبّر أحداً عن خوفه، أن يقولَ: "أنا خائف. مرعوب، هل من أحدٍ يُشاركني قلقي؟". أمرٌ غامضٌ ظلَّ يكبّلُ الجميعَ ويُخرس اعترافه. شيءٌ قادمٌ من بعيد، من التربية القاسية ربّما التي اعتادها العراقيون حتى أصبح معها الاعتراف بأبسط المشاعر ضرباً من بطر لا يُحتمل سماعه، كان البعض يقول نكاتاً، ظل الجميع يتواطأ على ضحك مُفتعل.

في صباح ما، أرسلوني للسوق من أجل حاجيات، مررت بمقهى فيه بضعة شيوخ يتحادثون، أمامهم تماماً، على ناصية الرصيف، رأيتُ (نصف) جثة تعود لجندي عراقيّ مُغطاة ببطانية عتيقة، غيّر المنظر شيئاً في داخلي إلى الأبد، ظهر المشهد لاحقاً في نص "خادم الحياة" بكتابي "الحياة بالنيابة".

بعد أيامٍ، وصلت طلائع الجيش الغازي إلى مدخل البلدة، الأُسر هناك هربت تخوّفاً من مقاومة المدرعات العراقيّة، بُثّت شائعة بأن صدام أرسل فرقاً من الفدائيين يعدمون رجال البلدات الساقطة بيد العدو جزاءً على خيانتهم، لن أنسى الشابة المهرولة حاملة رضيعها وهي تصرخ في ذهول: "يمّه راح يعدموكم!".

كنت أرى الأحداث كمن يشاهدُ فيلماً سينمائياً غير مُصدق لوهلة ما يجري، في شهور سبقت الحرب وطّنتُ نفسي على أشياء فظيعة ستحصل لكنني وجدت نفسي وسط الأحداث عاجزاً عن التركيز لفرط القلق والتفكير.

كان خوفي على مصيري ومصير أسرتي خط شعاع يوازيه شعاع خوفي من رؤية بغداد مدمرة، شقَّ عليَّ الرجوع ومعاينة الخراب، كنت قد تابعت التقارير الإذاعيّة عن جحيم حمم صُبَّ على العراق. في طريق العودة يوم 6 آيار 2003 رأيت خراباً أكبر من الكلام وأبعد من اللغة، لم أكن ناجياً كما ظننتُ، ظلت الحرب تسكنني في مكان ما وحتى الآن.

يومها، كتبتُ قصيدةً تتحدث عن مرور الوقت، عن ضعف الإنسان إزاء أقداره، دورة الحياة والموت وجحيم أن تكون مرئياً وذا حواس، كانت قصيدة اعتراف وشكاية قادمة من شعور مملوء بالانسحاق، رسالة استغاثة، لكنها، وفي الوقت نفسه، كانت تريد أن تقول. كتبت الشعر لحاجة في القول، وهي غريزة أساسيّة كما أظن. لم أرد كتم الصرخة. مثلما اتفق الجميع على كتمانها أيامَ القصفِ، ربّما لئلا يشيعَ الخوفُ ويصير سيداً للموقف. كانت القصيدة تبحث عمن يشاركها احساسها، كأن في بعض المشاركة وهماً من تخفيف أو نجاة، كان الشعر طريقة في أن لا أكون وحيداً، على خلاف ما اعتقدَ فرناندو بيسوا ذات يوم.

الوجه الثاني: طفلٌ إزاء العاصفة

أظن أن أيّ كتابة لها جذرٌ قادمٌ من الطفولة. تربيتُ في مزاجٍ لا يكترثُ كثيراً لما يقوله الصغار، هو حال أغلب أقراني على ما أعتقد. يُقابلُ الكبارُ كلام الطفل بالسخريّة واللوم. سرعان ما ينكفئ الطفل ويحتفظ بكلامه لنفسه، من لحظتها يبدأُ البحث عن قناة لتفريغ ما يريد قوله. هناك حكاية عليها أن تروى، موسيقى عليها أن تُفرغ من الأعماق، كلام كثير أردتُ مشاركته ولم أستطع وقتها.. من هنا جاءتني الرغبة في الكتابة وهي مستمرة منذ أوّل كتاب ولغاية الأخير. من حاجة في مشاركة ما، في التعرّف والاعتراف على جوّانيتي. من رغبة بانصات الآخر، بحثاً عن توازن لن يتحقق لكنك تواصل المضي لأنك لا تعرف سبيلاً آخر. أننا

نبدأ بكتاب جديد لإحساسنا بأن هناك شيئاً لم يكتمل.

أعلم أن منابع التأثير تختلف وتتنوع، بتنوع الشعر، ولست هنا بموقف إحصائها، لكني أريد التوقف عند تأثيرٍ أحسب له وقعاً في ما كتب بعد 2003 أُسميه: التأثير الذهني، ويشمل التجارب والمنعطفات النفسيّة التي تمرُّ في حياة الشاعر فتظهر، لاحقًا، في الكتابة.

في العراق وقعت الكثير من المنعطفات، الحروب والحصار والحرمان ومرارات الفقد والرعب. وبذكر الحروب، فأن أغلب شعراء ما بعد 2003 ولدوا في الحرب العراقيّة-الإيرانيّة ولمسوا شيئاً من حرب الـ 1991 وأشياء من حرب الـ2003 وتأثروا بتداعيات الأحداث بعدها، بالأخص مأساة سقوط الوطن بيد المحتل، تجربة الحرب الطائفيّة البشعة، الإرهاب، والفساد الحكومي. إنني أفكرُ بالشاعر وهو ينظر إلى القوى العملاقة تتلاعبُ بقدره بلا إرادةٍ منه، أفكرُ بالأيّام والليالي التي قضيناها نتساءل: لماذا نبذل كل هذا الجهد لنبقى أحياء؟ كيف ننجو مرّة بعد مرّة من صاروخ أو تفجير أو رصاصة مكتومة الصوت؟ لماذا لا نعيش ببساطة، مثل أقراننا في أرجاء الأرض؟

إن كلمات القاموس تعجز أمام فتى يرى جنود المارينز يدوسون أزقة محلته وملاعب رفقته ويسحقون بلاده مُفسدين قاتلين، هل تعرفون معنى أن تنفجر سيّارة ملغومة بالقرب منكم؟ وكيف تفقد الثقة للحظات بأنك ما زلت حيّاً؟ هل شاهدت بقايا جسد ممزق؟ رأساً منثوراً، هل شممت رائحة شواء اللحم البشري؟ هكذا عشت وعاش إخوتي الشعراء في البلاد، في هذا المناخ يكتبون.

إن هذه المشاهد لا يستطيع الشعر إخبارها بالكلمات لتفعل فعلتها بجسدِ من لم يرَ الفاجعة وتحسسها بحواسه، لن تستطيع قصيدة أن تُسمعك دوي سيّارة تنفجر أو تنقل إليك بخار جسد تأكله النار. وإن تناولتها فلن تنجو عادةً من التقريريّة والمباشرة والتباكي والتورط في لغة العنف ذاتها وجرها للشعر.

وحين لا تظهر هذه الصور بشكل آني في الكتابة فلا مناص من تأثيرها الذهني على الكاتب لتظهر داخل النص لاحقاً، تأثيرٌ قد يرتفع ليجعل من التجربة الشعريّة خلاصاً يجرب فيه الكاتب علاجه من المأساة، بمعنى أنه سيكوّن نظرة كليّة يرى ويكتب من خلالها الشاعر كل موضوعاته.

الخارج من الحرب ستسكن الحرب أعماقه، لن يستطيع الفكاك من تأثيرها حتى أن بدا مُتجنباً موضوعاتها المباشرة. كل خارج من حرب سيكتب كل شيء بعيني من رأى شحنة

الرعب العملاقة التي ستظل معه العمر كلّه.

بعد فترة من الحرب، وجدتُني أكتبُ أثرها على الأشياء من حولي ولا أكتبها هي بشكل مباشر. لقد تتبعتُ نسغها في البشر والحجر، تعّقبتُ أماراتها بين تضاعيف ما حولي، رأيت أن فعلتها كبيرة لدرجة أن تأثيرها بادٍ في أصغر الأشياء، في ما يُعد أحياناً تافهاً وهامشياً.

الوجه الثالث: أسئلة.. أسئلة، هذه مهمّتك

الكتابة، في لحظتنا الراهنة، حبيسةُ محنٍ مُتعددة، محن تطرح أسئلة جديدة على الكاتب وهي بالتالي بحاجة إلى استجابة جديدة، أشرت مرّة في إحدى يوميّات (2011) عن محن الكتابة -وهي ثقافيّة-سياسيّة في الأعم: "لقد تغيّر مفهوم الثقافة ومعنى الكتابة وزحفت التكنولوجيا على قيم العالم الانسانية، لم يعد الأدب الإبداع الانساني الوحيد، تراجع الروحاني إزاء المادي، وتعالت موجة العنف، صارت لغة التخاطب نفسها عنيفة وحادّة".

ما معنى الكتابة الآن؟ بالتأكيد غير معناها منتصف القرن المنصرم، صارَ العالم ابن المال والاقتصاد، كل محتوى لا يستجيب للتسليع يهمل ويداس عليه، هُوجم الشعر، معارضوه قالوا أنّه لم يعد الجنس الذي يقدم المرويات الكبرى للإنسان، عُوقب على لا "واقعيّته"، صار على الشاعر أن يعارك ملوك الحروب ومافيات المال وقوانين البورصة بعد أن كان يعارك اللغة فحسب. الشعر متراجع. ميديا الصورة ونظرية الاغراق الإعلاميّ غيّرت الموازين مع الفنون جميعها، لم يعد نشر الشعر في الصحافة ذا معنى، لقد أفسدت مواقع التواصل الاجتماعي الأمر وصارت الفوضى سمة وقاعدة في ظل تعطيل النقد وندرة القارئ الواعي.

هذه الأسئلة المتداخلة شكّلت وتشكّل التحدي الأبرز لي ومحاولة جوابها هي ورشة اشتغالي، وهي تحديات تحتاج حلولاً تأتي من جهات أخرى، وسائط يمكن لها أن تواكب وتتمثل سمات العصر من دون أن تهبط بالفن إلى الابتذال. في السابق، قالوا: على الكاتب أن يحفر في الصخر لينجح في ترك بصمته، لم تعد هذه العبارة دقيقة الآن، اليوم على الكاتب أن يحفرَ في الهواء.

الوجه الرابع: اللغة بوصفها مأزقاً

الشعر كائن هش، وليد يتنفس هواء غريباً لعالم تحكمه إرادة الصناعة والآلة التكنولوجية، عالم عملي بالأساس، واضح ومحدد، يخطط لكلّ شيء ويعرف كلّ شيء، فيما يميل الشعر إلى المجهول، إلى ارتخاء التأمّل والتفكير بفلسفة الأشياء بعيداً عن حسابات النفعيّة، إنه يحاول أن يفكر داخل تعبيره أو يُعبّر داخل تفكيره، ليس أحدهما.

غربة الشعر داخل العالم (التكنولوجي) تتواصل داخل أهم أدواته الايصالية؛ لغة هذا العالم دقيقة صارمة، لغة حسابات مصرفية ومصفوفات برمجة حاسوبية، لغة تتجه إلى اليقينية، فيما يتألق الشعر في الشك واللا نفعية، أتذكر ما قاله الشاعر فاليري في إحدى محاضراته عن الشعر الصافي حين وصف مأزق الشاعر مع لغته: "إن اللغة عنصر عملي شائع، فهي بالضرورة أداة خشنة، لأن كل إنسان يتناولها ويعالجها حسب احتياجاته، ويميل إلى الالتواء بها حسب شخصيته. إن اللغة مهما تكن شخصية، وطريقة التفكير بالكلمات مهما تكن قريبة إلى نفوسنا، فان لها أصلاً نفعياً ولها غايات عملية خالصة، ومن هنا فان مشكلة الشاعر هي أن يستخلص من هذه الأداة العملية وسيلة لخلق عمل هو في جوهره غير عملي". ستفنسون قال شيئاً مقارباً لذلك في دراسة له بعنوان (النسيج): "الكلمات مخصصة لتجارة الحياة اليومية العادية، والشاعر هو الذي يحولها إلى شيء سحري". مأزق الشاعر أنه ينتج عملاً جوهرياً روحياً في زمن يتصفُ بالماديّة ويتسم بالشكلية. عمل غير نفعي لكنه يكتب بأداة تحولّت إلى النفعية. التقابل بين هذه الغربة ومهمة الشاعر "التطوعية" يبين تحدي من يكتب الشعر، هذا التحدي يتطلب وعياً بضرورة اجتراح وتفعيل لغة جديدة تتمثل روح العصر لكنها، بالضرورة، تنطلق من جسد التجربة المحلية الغنيّة بما يلزم لتحقيق منجز شعري يفرض حساسية جديدة في تاريخ الشعر العربي.

مهمة تستدعي لا أن يكرّس الشاعر كل حياته وجهده فحسب، بل أن يضع في تصوّره المجازفة والجرأة على التجريب، إضافة إلى نقد التجربة بامتلاك قانون داخلي، الوصول إلى الخلاصة وإدراك السر أو ما سمّاه محمد خضيّر يوماً "الناموس".

الوجه الخامس: البحث عن قطة سوداء في غرفة مظلمة

دائماً ما تطلبُ الصحافة من الشاعر وضع هوّية وتوصيف لما يكتب من شعر، كان هذا شأنٌ شَغَل الصفحات الثقافيّة ما بعد الاحتلال، وهي موضوع مثير للصحافة استجبنا لمغرياته بفعل اغراء الظهور في الإعلام. وفي حال كونك كاتباً في ظروف مستقرة، فإن توصيف هوية لأشعارك أمر مستحيل، بسبب طبيعة فن الشعر العصيّة على التعريف، أكبر شعراء العالم لم يُورطوا أنفسهم بتعريفات وتوصيفات، كانوا يناورون دائماً، وهم على حق، فالشعر يقوم على الكشف المتواصل لطاقة الوجود الكامنة والتفاعل معها، هو في تحوّل مستمر وتبدل أزلي.

وإذا كان هذا حال الشعر في الظروف المستقرة، فأن الصعوبة تتضاعف في البلدان التي تمر بظروف غير تقليديّة، لحظات حاسمة في مصيرها وتغيرات سريعة وفاصلة، لأن الكتابة، أيّ كتابة تحتاج إلى فسحة من الزمن للتأمّل والتمثّل والتفاعل. إن أصعب ما واجه شاعر الحرب العالميّة الأولى والثانية هذا الانهيار السريع في القيم والثوابت السياسية والاجتماعية، وهذا ما واجه شاعر اللحظة العراقيّة ما بعد 2003، الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة كانت تتبدل بسرعة جنونية، قانون اليوم ليس بالضرورة قانون الغد، وسمت المرحلة بانهيارات مفاجئة، قيم جديدة كانت تنشأ، حروب داخلية، أزمات تتلو أزمات، تغيرات في بنية الفرد العراقيّ، اغراق إعلامي مُدوّخ، استقطابات اقليمية، تطرف، القاعدة، داعش.. فوضى شملت كلّ شيء بدا فيها الوضع مشوّشاً ومشوِّشاً مما جعل مسألة الكتابة ضرباً من السير في حقل ألغام، هذا التوصيف بالتحديد (عمل الشاعر سيرٌ في حقل ألغام) ورد في ردٍ كتبته لصالح تحقيق أعدّه الكاتب علي السّراي لملحق جريدة المدى (أوراق) أواخر 2010، كان التحقيق يبحثُ عن "هوية" قصيدة ما بعد 2003، وهل استجابت لـ"حاجة الحداثة"؟ وأين تذهب فعلة الشعراء بـ"شكل القصيدة ومضمونها"؟ كنت عالقاً في دوامة الأحداث العراقية المتقلبة وعجلتها المتحوّلة في كل يوم، وقتها أجبت: "التباس الهوية الشعرية وضبابيتها لا يمكن فصله عن ضبابيه المرحلة العراقية ذاتها، مجهوليتها الشاسعة واضطراب لحظاتها المتلاحقة. عمل الشاعر اليوم كما يُخيّل لي يشابه من يعمل في حقل الألغام، (...) إن تلاحق الأحداث ولا عقلانيتها يفسد أي بناء افتراضي يعدّه الشاعر. المتغيرات السياسية والاجتماعية حدث وركن من مجموعة أحداث وأركان يصنع الشاعر بها قصيدته"، وجواباً على "شُبهة اغتراب المضمون الشعري وتهربه من الشأن العام" التي نقلها التحقيق في أسئلته، كان الجواب: "شعر هذه المرحلة -في بعض نماذجه القليلة المضيئة- يتجه إلى الكتابة من أجل الشعر نفسه، غاية بحد ذاتها، ساعياً إلى استحكام صوته وتأصيل شخصيته بتجريب فنون كتابية مختلفة وتداولها والخلط بينها. هناك مزيج متداخل من المعرفة والتأمّل والحدث اليومي العاديّ والفلسفة والموروث. القصيدة تنزع ثوب الخطاب المباشر السمج إلى مساحات الأسئلة الملتبسة، هذه الأسئلة ليست اغتراباً عن الواقع بقدر ما هي كرسي محاكمة لمكونات النفس البشرية ومساءلتها على ما آل إليه الواقع من دمار".

أظن أنني كنت منهمكاً في معرفة الذات البشرية التي أنتجت الحرب والخراب، بدليل جوابي الوارد أعلاه، لا أعرف إن كنت وقتها مغترباً عن الواقع أم لا بقدر تأكدي من سعيي للبحث عن جواب يأتي من الداخل لأشياء جاءت من الخارج.

التبدلُ المتسارع للأحداث والتغيّرات المستمرة والأزمات المتلاحقة في بداية الاحتلال وظروف تكوّن الدولة، كان مُعطلاً بالغ التأثير في منجز السنوات الأوّلى، لذلك لم تظهر

الحرب في كتابي الشعري الأوّل (الحالم يستيقظ) كموضوعٍ أوّلٍ سوى في نصين اثنين، بينما كانت موضوعاً ثانوياً في أربعة نصوص، وبقيت مبثوثة بأضواء راعشة في تضاعيف باقي النصوص (الكتاب ضم 27 نصّاً)، بالطبع كتبتُ آنذاك الكثير لكني أهملتها وقت تحضير الكتاب لضعف رأيته فيها.

كنتُ أحتاج أن أفهم لأكتب، أحتاج أن أرى لأروي، لم أرد لعب دور الناقل الببغاء فحسب.

الوجه السادس: لقد سُرقنا!

يُنسب لزُهير ابن أبي سُلمى قوله:

ما أَرانا نَقولُ إِلّا رَجيعاً   وَمُعاداً مِن قَولِنا مَكرورا

ومثله قال يوماً عنترة بن شداد بيته المشهور (هلْ غادرَ الشُّعراءُ منْ متردَّم..)، أما الشاعر لبيد فقال:(والشاعرون الناطقون أراهم / سلكوا طريق مرقش ومهلهل)..

إذا كان الشاعر الجاهلي الذي عاش قبلنا بأكثر من ألفي سنة، أحسَ بأن الشعر "قديم ومتطور" وأن الشعراء قبله ذهبوا فيه كل مذهب حتى صار من جاء بعدهم يشعرون بأنهم "عالة على الشعر" وأنه لم يترك لهم شيئاً جديداً ليقولوه فماذا يقول شاعر الألفية الثالثة الآن؟ وقد جاء بعد الشاعر الجاهلي مئات أو ربما آلاف الشعراء الذين كتبوا ملايين القصائد، واحدة من أهم مشكلات الشاعر الآن: لقد قيل كل شيء تقريباً بكلّ طريقة تقريباً، صارت محنة الكاتب أن يجيء بقصيدة تتفوق على ملايين النصوص التي سبقتها، وهي مهمّة بالغة العسر، تتطلب جهداً في التطوير ونقل الشعر لموضوعات غاية في الابتكار والتفرد، وفتح الشكل على آفاق جديدة. بمعنى من المعاني، إننا بحاجة إلى شعر جديد بالمرّة. السؤال الأهم في هذا السعيّ: كيف نكتب الآن بعد أن قيل كل شيء، كان هذا السؤال نصب عيني في ما كتبته. ثمة عبارة لم أعد أذكر صاحبها تقول: (لقد سلبني القدماء أعظم أفكاري)، هذا بالضبط ما يخالج الشاعر الحديث آن يواجه فراغ شاشة كمبيوتره، أنه فزعُ المسروق وحيرته.

***

يهمسُ الشعر: من تورط بقدر الكتابة، من أراد بطاقة العبور إلى جنتي، عليه ضريبة من الكمد والخطورة، وربّما أكلفه الحياة كلّها! أو كما قال البولوني (ستانسلاف جرزي ليك): "شرط الخلود الأوّل، هو الموت".

ملحوظة: المادة مُستلة باختصار من بحث مطوّل، كُتبت العام (2012) وحُدثت العام (2017).

النَّفْسُ لا تسمعُ إِلَّا نَفْسَها

اللَّيلُ الضاغطُ عَلَى البُيُوتِ والحاراتِ

يُوشِكُ أنْ يُطبِقَ عَلَى الأنفاس.

اللَّيلُ هَذِهِ اللَّيلةَ

يُغلِقُ مساماتِ الهَواءِ عَلَى الهَواء.

يَسُدُّ الوَقْتَ أنْ يَمْضِي.

يَسُدُّ بابَ الزَّمَن.

كُلَّمَا صِحتُ بِنفسي:

أدركتُ أنَّ سُلطانِيَ كاذبٌ،

وأنَّ النَّفْسَ لا تَسمعُ إِلَّا نَفْسَها.

من أنا فِي هَذَا اللَّيلِ أَيَّتُها النَّفْسُ الجاحدةُ؟

أينَ أملاكِيَ مِن الكلامِ الرَّهيفِ

الَّذِي وَزَّعتُهُ عَلَى الآخرينَ

فما أعْطَوْني إِلَّا صَمْتَهم؟

أينَ صُراخيَ فِي مراياهُم الَّتِي أُعلِّقُها عَلَى الجُدرانِ؟

إنني الآنَ أُقيمُ فِي ساقيةٍ واحدةٍ

يَمُرُّ فيها أشباحُ مَن مَرُّوا عَلَى حياتي فأَفسَدُوها

لا أُريدُ منهم سِوى أنْ يتركوني.

لا الحَيَاةُ صديقتي

وهي لَيْسَتْ بِصَديقةٍ لهم بِالضرورة.

أعرِفُ هَذَا وأحفَظُهُ عن ألم.

أَقُولُ لهم اتركوني لكِنِّي لا أَقُول،

إنني أهذي مَعَ نفسِي ومرآتِها،

حسبيَ أَنَّ المِرآةَ تُفضي إِلَى نافذةٍ

حسبيَ أنني أَجْلِسُ فِي ساقيتي وحيداً

أَنُوءُ بِثِقْلِي

وإنِّي لا أُكلِّفُ أحداً شيئاً

وإنِّي لو فَرَرْتُ إِلَى موتِي سأكونُ مُطمئِناً وهادئاً.

حسبيَ أنِّي لا أُكلِّمُ أحداً

فأُثقِلُ عليهِ.

شاردٌ فِي لحظتي،

مُستغرِقٌ الذِكرى بِمَن مرّوا،

مُستغرقٌ بِالنسيان

إنني هُنا خَفيفٌ إلَّا مِنْ رُوحي.

مَنْ أنا فِي هَذِهِ اللَّحظَةِ الواحدةِ
الَّتِي تُكررُ نَفْسَها آلآفَ المرات؟

كيفَ اجتمعتُ بِكُلِّ أشياءِ بيتيَ هَذِه: الكراسي والشَّراشفِ وشقوقِ الحيطانِ وأسلاكِ الكهرباءِ ولوحةِ دالي المـُزَيَّفةِ والطَّابعةِ اللّيزريّة والمِدْفأة؟

كيفَ اجتمعتُ بِالشَّارع الَّذِي يَضيقُ عَلَى نَاسِهِ
كُلَّمَا قَبَضَ الوَقْتُ بِياقةِ النَّشوة؟
كيفَ اشتَمَلَ عليَّ هؤلاءِ
ومِنْ أينَ جاؤوا وتجمَّعوا حولي؟

إنني لا أُريدُ أحداً
فِي لحظتي الخاصةِ هَذِه،
أُريدُ جسَدي ورُوحي
سالمِيْنِ
مِنْ شَظِيَّةِ الماضي.

أَجْلِسُ فِي السَّاقيةِ

أُقلِّبُ جَمَراتِ المـَوْتَى الَّذِينَ ذَهبوا،

أستعِيدُ صوراً التقطتُّها لهم

يَبدون فيها راضِينَ ومُبتسمينَ عَلَى الدَّوام،

أُعددُ ثُقُوبَ قَلْبي الَّتِي صَنعوها لحظةَ رحيلِهم،

أَقُولُ لِنَفسي:

لَنْ نُكلِّفَ الآخرينَ ثقباً واحداً أَيَّتُها النَّفْس،

لَكِنَّ النَّفْسَ لا تَسْمعُ إِلَّا نَفْسَها.

أُقلِّبُ بِيدي جَمَراتِ الأَحيَاءِ الَّذِينَ يَبدون كأنَّهم أحياءُ

وقريبونَ

كأنَّكَ تَلْمسُهُم إنْ شِئتَ،

لَكِنَّنا نَتجَاهلُ بعضنَا،

نَذْهَبُ بعيداً عن بعضِنا،

نَتِيهُ بِألعابِ الحَيَاةِ الصَّغيرة،

ننسى،

ننامُ،

فإنْ تَقابَلْنا فكلامُنا الْأَذَى وأفعالُنا الألمُ

وإلَّا فَنَحْنُ نَسَاؤونَ ونِيام،

أُقلِّبُ جَمَراتِ الأَحيَاءِ والمـَوْتَى وأَقُولُ لِنَفْسي:

هَذَا مقعدُكِ مِن النَّاسِ

فاشْتَمِلي عَلَى الصَّمت

وأُترُكِي البابَ مُوارِباً

وأُترُكِي الشَّبابيكَ مَفتوحةً للندم.

أعرِفُ أنَّ سُلطانِيَ كاذبٌ

وأنَّ النَّفْسَ لا تَسْمعُ إِلَّا نَفْسَها

وأنَّ كلاميَ الرَّهيفَ

قد يَنساهُ مَنْ مرُّوا عَلَى حياتي فأفسَدُوها

لَكِنِّي لا أُريدُ منهم

فِي هَذِهِ اللَّحظَةِ

الَّتِي تُكرِرُ نَفْسَها الآفَ المراتِ

سِوى أنْ يتركوني.

خيار خاسر

حدّثْتُكَ مرّة:

كلُّ ليلةٍ تَصْلَحُ أنْ تكونَ الأخيرةَ وكلُّ نهارٍ يحملُ بقلبه بذرةَ العدم

أحسبُ أنَّ في رأسي يتجادلُ مَلَكانِ، لا يملاّنِ حِسابَ المرّاتِ التي أدرتُ ظهري فيها لرسائلِ الليلِ والنهار

أحسبُ أَنهما تعبا كثيراً معي فتركاني هائماً في دروبٍ لا تستحي.

أحسبُ أنَّ نهاراتي القادمةَ أقلُّ حظاً.

وأني خَسِرتُ بياضي بانتظارِ سوادِك.

وأنَّ ذنوبي لا تغفرُها رَحمتُك.

كم حدّثْتُكَ بَعدَها عن أجنحتي التي لا تخَفِق؟

عن حقائقَ خذلَتْنا وإشاعاتٍ صادقة

عن ذكرياتٍ تُطلقُ وحُوشَها على أيامِنا العَارية.

أحَسبُ أَنكَ ملَلتَ حديثي لكنكَ تكتم:

مللتَ الحكايا أفرِشُها مخافةَ أن تُنسى

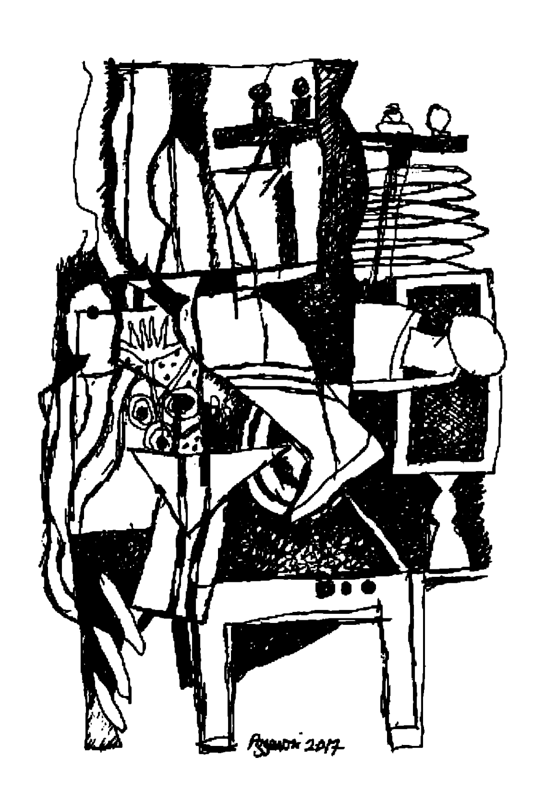
وأُطلقُ أنفاسَها لئلا تصدأ

مللتَ السُّبُلَ نبذلُ فيها أعمارَنا المحدَّبة، ولا تَعرِفُنا

مللتَ الصوائح

بلسانِها الألثغ وصوتِها الرديء

مللتَ، لكنكَ تكتم.



قلتُ:

من يعبأُ لأجنحةٍ مسحوقةٍ لا تخفِق؟

من يبادلُ حصىً تغرقُ بطرقاتٍ ملؤُها نشوةٌ مبتورةٌ

من يعاندُ كلَّ هذه الجماجمِ بأسنانٍ أبديةٍ تضحك

من يضاربُ بأقدارِنا المصقولةِ بعنايةٍ فائقة

من ينادمُ الطمأنينة، يستدرجُها،

متجرعاً وخزَ فظاظتِها ودناءَتِه؟

من يعاقبُ إحبَاطَنا بشواطئَ لا تُمْرِض؟

حدّثْتُكَ، ذاتَ غَوْر:

لا ملاذ لمن رأى الشمسَ تخفقُ مشنوقةً بحبلِ العاصفة

لا ملاذ لمن أرجأ خَلاَصَهُ برميةِ زِهر

لا ملاذ لمن بدَّدَ بأسَهُ في بهتانِ خلوده

لا ملاذ لي وأنا أُعدِّد ملاذاتِهمُ الخاسرة!

قلت:

"إنْ كنتَ خائفاً من المنعطفِ القادم،

فأغمضْ عينيك

وأقبلْ عليه، دونَ اكتراث

هكذا ستغيضُ الريحَ بسخريةٍ بسيطة

وقليلٍ من الشجاعةِ الممكنة".

وقلت أيضاً:

كم ثعباناً في قميصِكَ أيها القدر؟

كم سكيناً خلفَ ظهرك أيها الغد؟

كم قبراً مخبوءاً فيكَ أيها الميت؟

أقوالٌ كثيرةٌ وأحاديث

أحاديثُ ما كانَ لها أن تنتهي

طالما عذبت المَلَكَيْنِ وهما يعدّان رسائل الليلِ والنهارِ التي أدرتُ لها ظهري

تعبا،

وتركاني هائماً في دروبٍ لا تستحي

فهل سترحلُ أنت أيضاً؟

* شاعر من مواليد بغداد العام 1983، له في الشعر: "الحالم يستيقظ" 2010 الطبعة الأولى دار الغاوون - بيروت، وط2 2011 دار الجفال- دمشق، و "الحياة بالنيابة" 2013 الدار العربيّة للعلوم ناشرون- بيروت، و "سليل الغيمة" 2015 منشورات باصورا- البصرة، ترجمت بعض قصائده إلى الانجليزيّة والفرنسيّة والفارسيّة، أسّس هو وشعراء آخرون نادي الشعر في البصرة العام 2007.



عمر الجفال

عقار الشعر

لم يكن الحزن وحده كافياً، وإنما كان على الغبار أن يكون حاضراً أيضاً في المرّة الأولى التي تعرفت فيها إلى الشّعر. كانت علاقة سريّة نشأت من دون محرّضات من أحّد. علاقة تشبه اكتشاف الجسد ووظائفه، مثل وجع الأسنان الأوّل، فقر الدم وضداعه، رعشة الاستمناء الأولى. مزيج من متعة وألم وحيرة يظلُّ المرء محاولاً، طوال الزمن حتّى ولو بشكل خاطف، امساكه، بيد أنّه لا يعود، وتظلّ ذكراه وما يحيطها من خيال وأسطرة ماثلاً إلى أبد الآبدين.
ترافق تعرّفي إلى الشِّعر مع شعور بمرارة يتغرغر بين لساني ولثّتي وأسناني. عدمٌ يشدّ وثاقه على معصمي ويكاد يجفّف الدم في رسغي. كان جسدي ناحلاً ولا جرأة لديّ على إيقاف نموّه ورميه إلى برازخ الموت. كان شعوري هذا وأنا في السابعة عشرة، الفشل كلب يعضّ أيامي بعد تجربة تمثيل مسرحي مريعة. "لن أكون أيّ شيء إذن"، كنت أقول. قرأت عدداً من الروايات والقّصص وحاولت الحياكة على منوالها لكن لا قدرة لديّ.. فقط احساس قاتل بالوحدة والعُزلة والعجز وهو ما لا يروى. ليس لديّ ما يثير اهتمام أحدّ. ملكيتي مشاهد متقطّعة وثقل هائل بألم الحياة.
نتيجة لهذا صار النوم مساحتي الرحبة. متى ما شئت أنام، من دون مساعدة

العقاقير.. أضع رأسي على المَخَدّة فأقرر النوم فأنام لساعات مديدة. كانت أرض النوم تلك تدريباً يومياً على مواجهة موت وشيك.

لم يكن هذا اليأس نتيجة أزمات شخصيّة لأنّي ولدت في بلدٍ ماكنات الحرب فيه تعمل بنشاط، ويمد أفراده أقدامهم في بلاد بعيدة قد تكون خلاصهم، ليس لهذا السبب فحسب، وإنما العالم بدا- وما يزال- خليطاً من كادرات مركبة وغير معقولة، وبرغم اتساعه والتهام البشر لليابسة وردمهم للبحار، إلا أن المساحة صارت أضيق من فرج نملة. العالم، والحال هذه، تحوّل إلى نُتف من رواية "عالم جديد شجاع" لالدوس هكسلي حيث يُصنّع البشر وتلغى عواطفهم وتضمحلّ الأُسرة وينتهي المجتمع، ويلغى المجال العام، ويصبح النظام المحرّك الرئيس للحياة، غير أنه، وبالمقابل، العالم استعار أيضاً مشاهد من فيلم "A Clock-work Orange" لستانلي كوبريك، إذ بمقابل النظام هناك الفوضى التي تصبح عتلة الأفعال. تفقد الأخلاق معناها لدى البشرية، الشرّ والخير يتداخلان ويتبخران ويمطران أسى. لا مقياس لشيء، ومن ثمّ تدخل إلى الصورة الكليّة هذه حبكة مشابهة لرواية "1984" لجورج أورويل، إذ يخضع كائن من كان للمراقبة، ويصير الإنسان بيانات وأرقاماً للمؤسسات السياسية والاقتصادية؛ وسط كل هذا بدا أن لا ملجأ للروح لتطمئن، ولا محلّ للجسد ليرخي عضلاته.

وفي ظهيرة قادني الملل والتعب من النوم إلى مخزن الأُسرة حيث تتكوّم علب كبيرة مليئة بحاجيات متهالكة وأوراق وكتب. غبار خانق. أخذت أقلّب الكتب، وفجأة عثرت على الشّعر. كانت مجموعة كتب لشعراء عراقيين من جيل الثمانينيات والتسعينيات. الأعمال الكاملة لبدر شاكر السيّاب ومحمّد الماغوط طبعة دار العودة، ونسخة متهرئة من دون غلاف لـ"الأرض اليباب" لإليوت. وبضعة مسرحيات، وكتاب "خمسة شعراء عراقيين" وهو مختارات لشعراء من الثمانينيات والسبعينيات، عندها، تقرفصت على الأرض، وأخذت أشمُّ غبار الغرفة وألم الشّعر مرة واحدة. أنفي وروحي احمرّا بسبب الحساسية الشديدة من الغبار، وتوقي إلى ألمٍ مكتوب وليس معاشاً فحسب.

لم أحسب الساعات وأنا جالس هناك، ولا عدد الصفحات التي قرأتها. ولا أتذكّر أي كتاب حظي باهتمامي أكثر من بين كل الكتب المبعثرة حولي وأنا أتنقّل بينها. أفتح صفحة أقرؤها وأنتقل إلى كتاب آخر. جمعت مقاطع من كل الكتب وكأني أحاول بناء قصيدتي. القصيدة التي تشرح الوحدة التي بنت قلاعاً عالية في حياتي.. المرارة والألم والنوم، حاولت جمع هذا دفعة واحدة في قصيدة فرانكشتانية تخصّني.

وإذا كان العالم كومة من بشر- بحسب ما وصفه ادوارد غاليانو في كتاب المعانقات- فإن هؤلاء البشر بدوا بحاجة إلى عقاقير كبيرة غير حقن "الاوكسيتوسين" التي تجعل الروابط

فيما بينهم أُوثق، أو "البلاسيبو" الذي يُوهمهم بأنّهم على خير ما يُرام؛ وبوصفي إنسيّاً مثل هؤلاء الذين أعيش معهم وأراهم يسحلون أجسادهم إلى العمل والنوم والعراكات والضنك، قرّرت قراءة الشِّعر. كل ما أعثر عليه، كل ما يقودني إلى عنوانات جديدة، غير أن شِعراً محدداً في البداية كان يثير اهتمامي، ذاك الذي كتب في العراق في تاريخه الحديث.

كنت قد انتقلت إلى العيش في دمشق عام 2001 بسبب النظام الديكتاتوري (عدت إليه عام 2011 وغادرته مجدداً إلى ألمانيا عام 2016)، وكان العراق بالنسبة لي الجنّة التي أُبعدت عنها قسراً، ولذا، أتخيّل الآن أن الشِّعر العراقي كان يقوّدني إلى جنّتي تلك التي عمّرت لها أنهراً وشوارع وأزقّة وعلاقات ليس لها أيّ وجود سوى في مخيّلتي.

أُلغي النوم، وحلّ السَّهر محلّه. أقرأ لنحو تسع ساعات أو أكثر في اليوم. لا أستطيع ترك أيّ كتابٍ أحصل عليه من دون أن أنهيه وآخذ مقتبساتي منه، وأضع ورقة عن انطباعي عنه بين أجنحته. كان عقاراً هائلاً. بدت الحياة أقلّ وطأة. ولكنّ شعوراً غريباً يطلق سعاليه إليَّ كل يوم، مُصدِرة، تلك السعالي، أصواتاً مرعبة ومثيرة الفوضى. لا شيء يسكت هذا الضجيج.. لا شيء، ولا حتّى كتب الشِّعر التي صار لها مكتبة صغيرة في غرفتي.

إنّها المرارة مجدداً. مرارة عرفت أنّها لن تكفّ عن تكبيل حياتي إلا بالكتابة، لكني فشلت: كيف للّغة أن تكون طيّعة، كيف للمخيّلة أن تكون قطّة أليفة. الاستعارات، الكنايات، البناء، كلّ هذا كيف يَفدُ إليّ؟ كيف أسبح في البحر هذا، وأنا لا أملك يدين؟

واذا كان غونتر غراس قد اندفع إلى الكتابة في محاولة لإحياء أحد اقربائه الذي خسره عندما أعدمه جهاز أمن ألماني، فإن دافع الكتابة لديّ كان تعويضاً لخسرانات كثيرة، كان أوّلها الطفولة التي أُجبر الكثير من أقراني وأنا على مغادرتها في عقد التسعينيات بسبب تضافر الجهود الديكتاتورية المحليّة والدولية على جعلنا نحفر عميقاً في المعاناة اليومية مغارة ونِنام فيها. وكان السبب الثاني مغادرتي البلاد إلى دمشق، والسبب الثالث هو الاصطدام بهويّات فرعيّة تكوّنها الأُسرة ويتردّد صداها في الشارع وجدتني بعد فترة بسيطة من الانخراط فيها أنّها لا تعنيني بشيء، والأهم من ذلك كلّه هو ألم الحياة التي تزداد كآبة كلّما تقدّمت في العمر.

ووسط هذا كلّه، حوّطتني أشباح العدم ووجدتني في محاولات جديدة قادراً على الكتابة. التمرين على الكتابة يشبه التمرين على الاستمرار في العيش. قلت أستطيع السباحة، نبتت لي يدان فجأة. يدان مرتجفتان تسحبان جسمي إلى المهاوي، أو ترفعه إلى السماء. لكن متى لم تكن الكتابة هكذا؟

صارت "الحياة" كلمتي الأثيرة. لا يبدو غريباً عليّ اليوم وأنا أنظر إلى كتابَيْ وقد تردد في عنواناتهما كلمة "الحياة"، وكل مرّة أخشى أن أحصي عدد المرّات التي استخدمت فيها هذه الكلمة في قصائدي..أخشى لأنّي أخاف من إزالتها جراحياً بعد أن وضعتها في مكانها. تداخلي الجراحي في جسد النصوص ورفع أورام "الحياة" منها لن يكون سوى بحثٍ عن كمال زائف للنص.

وعلاوة على الحياة التي أنثتها وخنثّتها وشيّأتُها، فإن الخسارات، بطبيعة الحال، كانت تنام في سرير واحد مع الشك. وعلى أيّة حال، إذا ما فشلت أن أكون ممُثلاً، وعجزت عن جمع قصّة، أو كتابة مسرحية أو رواية متماسكة (وكل هذه أحلام تظل تراودني)، فإن هذه الفنون كانت تجد لها طريقاً إلى ما أكتب من نصوص.

في ديواني الأول "خيانات السيّدة حياة" الصادر في دمشق عام 2009 بعد أن فاز بجائزة دار التكوين للديوان الأول في دورتها الأولى، كانت ظلال كل هذه الفنون تتقاتل داخل النصوص، حتى أنّي حاولت أكثر- وكنت قد تعرّفت حديثاً أيضاً في تلك الأعوام إلى الفنّ التشكيلي- أن أرسم لوحات معلّقة داخل فضاء النّص. كان بعض النصوص مثل "استجب لبرزخك أيّها الموت" و "عنّي ولا أعنيني" و "ماثلون لك" جنائزية. حاولت (ولا أدري مدى نجاحي) تحشيد أصوات من ديانات يؤديها ممثلون، وحاولت أيضاً زجّ الناس البسطاء في قيامات متخيّلة، وكانت هناك شذرات داخل النصوص نفسها تكمل الديكور العام للقصائد التي تتحدّث عن الموت والبرازخ والناس الذين لا تتبدّل أحوالهم. وعدت وقنّنت هذه الأصوات في كتابي "الحياة بنقالة متهالكة"، الصادر عام 2016 عن دار مخطوطات، إلى صوتين يتنازعانني، الأوّل صوت الشّاعر الأعزل الذي يظلّ ينكش بإبرة حادّة العقل والفؤاد وينظر إلى التفاصيل، والثاني هو كل ما يتملّكني في حياتي اليوميّة في العمل الصحفي والخيبات الكبيرة في المخاض المُعاش.

وأعلم جيّداً أنه يجب عليَّ الآن الكتابة عن تعريفي للشِّعر، لكن هذا التعريف الذي عجزت آلاف السنوات والشعراء عن إيجاده والاتفاق عليه، لا يبدو سهلاً عليَّ، أنا الذي ما يزال يُسعد باكتشاف كتب شعريّة كمريض بالسرطان يوهب الحياة، لا يمكنني القول إلا أن الشِّعر (وهذا رومانسي جدّاً) يجعلني أستمر باجتياز الأيام الكئيبة والعصيبة. أو ربما أستطيع الاستعارة من ميثم الحربي، الشاعر العراقي الذي يجايلني، والذي يصف الشِّعر بأنه "رياضة روحية"، أو ربما أكتفي بالمناورة كما فعلت فيسوافا شيمبورسكا في خطابها أثناء تسلّمها جائزة نوبل، والثرثرة عن الكتابة والانهزام أمام جسد الشّعر الذي استطاع عبور اللغات والقارات وظلّ محتفظاً بحرارته في كلّ مرّة يُعاد قراءته.

في النهاية، بدا الشعر لي، قراءة وكتابة، مثل حفيد ايزابيل الليندي الذي أخبرها وهي

تتلمس التجاعيد التي اوتدت خياماً في وجهها بأنها ستعيش ثلاث سنوات أخرى. كل مرة كان الشّعر يأتي إليّ بهيئة ذلك الحفيد المراوغ ويمنحي وقتاً إضافياً للعيش، فيما أُكابد في تدليله، وغالباً ما أفشل.

رثاء الأزل

بأيادٍ عتيدة، وأقدام عضلية

غرزنا المعاولَ في جسدِ الأرض

وكِلْنا التُّرابَ على جُثّةِ الأزل.

فقط غرزنا مباضعَنا في كَبِدِه

فقط رفعْنا كَمّامةَ الأمل عن أنفِه

فراحَ يرفُسُ مَثلَ غزالةٍ طَحَنها البور.

جسدُهُ الأملَعيّ

كانَ صغيراً بحجمِ تصوّراتنا،

ومقتلتُهُ كانت أسهلَ من تهشيم رضيعٍ في الطابق الرابع من مدينةِ الطبّ.

بأيادينا أيضاً

كسّرنا رقائم الخرافة،

وأجلَسْنا جلجامشَ على كُرسيّ

وقُلْنا: نُريدُ حياةً فحسب.

نُريدُ.. يا مَنْ فشلْتَ في ردْمِ البرازخ

وأحْلتَ الطّبيعةَ إلى وحشٍ هائج

ودمّرتَ اليوميّ في حياةِ انكيدو: نُريدُ حياة.

بلا " ألـ" التّعريف نُريدها. بلا أعداءٍ يَقذفونَ نذالَتَهم على أسطُحِ المنازل. بلا طلقاتٍ تَعقفُ الزهور، أو خمّاراتٍ مليئةٍ بالعقائد.

نُريدُ لحيواناتِكَ الضّاريةِ الجلوسَ بوداعةٍ في حديقةِ الحيوانات.

ولقتلَتِكَ أنْ يذبحوا الثيرانَ المَهولةَ للشاردينَ في بريّةٍ مُقفرة.

للهاربينَ إلى البحار أعرْهُم أجنحةَ مَحظيّيك

أعرْهُم جَلَدَكَ في البحث عن الخلود،

دعْهم يَعبرونَ بأشرعةِ الطّمأنينة.

أعطِهم بريّتَك، واقتُلِ الأفعى قبلَ وصولهم إلى وَكْرها.

أَعطِهم شجرةَ الحياة، واحتطِبْ عُشبةَ الأزل لتُدفئهم بنارها.

رأينا:

عضلاتِ الكون تتهدّل.

خطّافاتِ اليأس وهي تُلوّح بالسماء والأزقة.

مناجلَ العدم تخطفُ سنواتِ الفِتيةِ المُتعطِّلين.

ورأينا حاصداتِ اللاجدوى- ماكناتِ الحيرةِ الضخمة- وهي تَسحقُ أجسادَ النساء.

ورأينا أيضاً:

الحطامَ يتصرّمُ مُستقبَلاً،

التاريخُ والحاضرُ يَتخاصمان في خرابة،

إبرُ الغُزاةِ تنكُشُ جسدَ المُدن الميّتة،

القادةُ يتدافعونَ كصِبيةٍ بائسينَ؛ لرجم ما تبقّى من وجهِ البقاء.

ورأينا، كمن زحفَتْ أرتالُ كوابيسَ إلى أحلامِهم، الناسُ غربانٌ عرجاءُ تُمارسُ الدفنَ بنهمٍ، تضربُ الأرضَ عميقاً وتُلقمُها الأفئدةَ النيئة. ورأينا الأرواحَ العليلةَ وهي تَكيلُ الرملَ الأصفرَ على شُعثِها. ورأينا النجماتِ المختنقات، الساقطاتِ من علوّ إلى الآبار النافقة. ورأينا فرساناً يَحوّطون مدناً بالأهازيج والسيوف. ورأينا كلَّ ما لا يُرى.

كنا نسيرُ في المَحشرة

برؤوس إسفنجيّةٍ تمتصُّ الحتوف.

نسيرُ بأيادٍ دبُوسيّةٍ تُوقظُ أحزاناً نائمة.

فتحْنا برّاداتِ الكآبةِ ودخلْناها

وأحكمْنا غلْقَ أبوابها علينا

ومكَثْنا نُربّي الملامة

والحروفَ الثقيلة

والجُمَلَ الطويلةَ الشّبيهةَ بالسّكاكين.

لسْنا سوى أرواحٍ من قشّ

تَخافُ النائرة.

قش يخشى فيالقَ دوابٍّ جائعة.

وحتى أننا

إذ لم نمسك بسكاكين

ولم نُربِّ أعداءً

كان الدمُ يرتقي أجسادَنا.

لحاظ العالم

أيّها العالم

نتنابز بالأمراض

نحن شلّة أصدقاء

ونقامر بملذاتنا.

جعلتنا نطوف

باحثين عن أرضٍ

ودفعت رياحك كلّها

لتدمر المراسي.

بلعت حشود نجماتنا

وأخفيت أقمارنا المريضة

ورفستنا إلى السديم.

أيها العالم

كلّنا

في هذه المتاهة

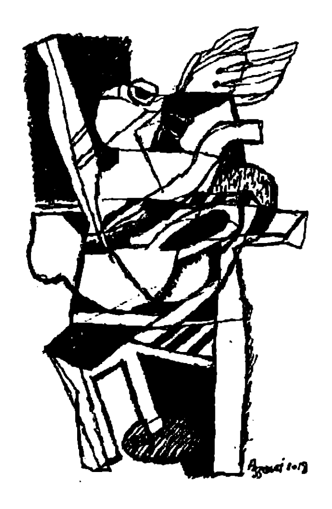
أُوفيليات تمسح الدم عن ثيابها

كلنا ماكبثات لا تجرؤ على القتل.

لقد دفعت شفراتك كلّها

لتقطع الشعرة الأخيرة

التي تربطنا بالحياة.



* شاعر وكاتب وصحافي، مواليد بغداد عام 1988، انتقل للعيش في دمشق من عام 2001 إلى عام 2011، ويقيم منذ عام 2016 في ألمانيا، صدر له في الشعر: "خيانات السيّدة حياة" عام 2009 دار التكوين- دمشق، و "الحياة بنقالة متهالكة" عام 2016 دار مخطوطات- هولندا، فاز بجائزة الديوان لدار التكوين عام 2009، وحصد المرتبة الثانية في المسابقة المشتركة لبيت الشعر العراقي واليونسكو عام 2012. نشرت نصوصه في عدد من أنطولوجيات الشعر العراقي، وترجمت عدد من قصائده إلى الانجليزية والفرنسيّة والألمانية والفارسية، حصل على منحة هاينرش بول للتفرّغ الأدبي في ولاية شمال الراين- ويستفاليا في ألمانيا عام 2016، وحصل أيضاً على منحة للتفرّغ الأدبي في "أكاديمية العزلة" في مدينة شتوتغارت الألمانية لعام 2019.



مؤيد الخفاجي

يودِعُ الوردةَ مشقّةَ سرِّهِ؛ لينساه

يغيّبُ الموتَ، ويفتحُ سلال الكلمات لخساراتهِ التي لم تنضج لتكون قصيدة، هكذا كان مؤيّد الخفاجي في نهايات عام 2007 وحتى منتصف 2009، حين لم يكن إلا في الطريق إلى نفسهِ، مستفهماً عن اللحظة، متّصلاً بهذياناتهِ، ومنفصلاً عن مدينةٍ، ما بين كلّ شارعين فيها، سيطرةٌ وهميةٌ، وموتٌ ممكن. كانتْ تلك سنواته الأولى في دراسة الطب، وأيضاً بداية رغباتهِ في الهروب إلى مدينة الشعر، ولا أعني بغداد، بل نقيضها تماماً. كنّا نتساقطُ هنا وهناك، ونجتهدُ لننتقي لنهاياتنا ونهايات الآخرين مأتماً يميِّزها عن غيرها، و كان هذا الولدُ يكتب، فالعباراتُ التي تطلبُ منّا التوقّفَ، غالباً ما تكون نفسها التي تستفزنا على الاستمرار. وإن الهروب إلى الشّعر، هو أنانيّةُ نبيٍّ حين يبشِّرُ بالسلام.

كان الوزن وكان النثر، وكان الهاربُ يرتِّبُهما أبيضين أسودين، كالأيّام، وكمفاتيح البيانو لتصدح موسيقاه الجنائزية في نهايةِ المشهد. مؤثثاً نوافذهُ بفجرٍ يليقُ بها، ومحاولاً أن يرحِّل قصائد نثرهِ إلى اللحظة، وأن يعيد تأثيث عمودهِ بالرموز والإيهام، حتّى إذا اكتملتْ مساميره كان لهُ أن يصلب ما شاء من أخطاءِ المدينة، وبمن تنتظرهم المدينة، قبل أن تتلاشى. هكذا كانتْ

فكرةُ مجموعة من القصائد، حاملةً عنوان: "أخطاءٌ لا تنبُّئُ بالمسيح"، ومرّةً أخرى، كان هذا المبشِّرُ الصغيرُ يهاجرُ، من الشِّعر هذه المرّة، وإلى دراستهِ التي قد تخلّى عنها في لحظة ضياع. اختتمَ المشهدُ بمجموعةٍ أهملت، وألغي الفيلم، فالمشاهدون يموتون قبل أن يصلوا إلينا، ومن فرط حياتهِ كان الولدُ العشرينيُ يقول: ربّما كان للموت ذائقة أرقى مما ظننت!

أن تكون القصيدةُ موزونةً مقفّاة في تلك الفترةِ، يعني أن الحياة لا إيقاع لها، وأن آخر البيت غامضٌ كالنساء، وقد ينتهي بك جثّةً مجهولةً في أضغاث نهر. وأن يكونَ أمامكَ أن تكون المخرجَ والمنتج والممثل الأهم لقصيدةٍ، تفرضُ عليك وجودها في الحياة، ناطقةً في مهدها، وخارجةً من رحم الفنّ. قصيدةُ النثر التي اعتنقتُ انفلاتها بقدر حاجتي إلى ترتيب الناشز والمفقود، وجدتُها تخلقُ مفقوداتها، وتُنشيءُ أوركستراها كلما امتلأتُ بالحياة. القصيدةُ/الفن، العبثُ الذي لا ينتهي، والنظامُ الكامنُ في الفوضى، والخيبةُ الأكيدةُ لأنصار الانطباع الأوّلِ، وهم كثيرون، كانتْ الشِّعر.

تلك اللحظةُ القاسيةُ التي نضعُ الرهان عليها، ونحنُ نهبُّ ريحاً على حقلٍ من تماثيلِ رماد. لحظةُ التوهُّجِ التي يغدو الاحتراقُ فيها وشيكاً، تلك اختبارُنا وملاذُنا، حين نتعلّمُ من شموع الرماديين، كيف لا نكونُ مثلهم. ونهذّبُ حرائقنا الدنيويّة كي يسطع ضوؤنا الداخليّ. أن نتوهّج بين آخرين يشبهوننا ونشبههم، يملكون أداواتنا ويكبروننا كثيراً، نصغي إليهم، وربّما يصغون إلينا... كلُّ هذا يحتاجُ أن نتقنَ اللحظة، ونبتكر النار، بهدوء صوفيٍّ يصلّي، وبضجيجٍ أقلَّ مما تثيرهُ المسدساتُ كاتمةُ الصوت. على أننا في هذا لا نعلنُ الحربَ إلا على ذواتنا، فأن تكون شاعراً يفاجئُ ذائقتهُ المتولّدةَ من ارتقاء ونشوءٍ، ذاتيٍّ وجمعيّ، فأنت بهذا تكتبُ المستقبل، وتفجِّرُ الاحتمالات، كمن يفتحُ باباً ليجد ثلاثاً غيرها، وهكذا وجدتُ أن الشعرَ هو خدشٌ للحياة، لا لنتأكّد من سلامةِ معدنها كما يبدو، بل لنتكشف ونتكاشف، ونضع الأوراق بين داخلنا وخارجنا، ثم ننسى، ونمضي العمر في تشكيلهما معاً.

"داخل كلِّ فنانٍ، طفلٌ يريدُ أن يلعب"، يقولها نيتشه، وأكررها على أمل الادعاء بأنّني مجرّدُ طفلٍ يعبثُ بالكلمات، كلُّ ما يريدهُ الآخرون منه، هو أن يبقى في عزلتهِ و ألعابهِ، على أن يشمل لفظ "الآخرون" السياسيين ومن يديمُ عليهم الظلَّ أيضاً، وأصحاب النفوذ، السريَّ منهُ والعلنيّ. وإنني في هذا أكون أمام إشكالٍ مع ذاتي، أما أن أكون ذلك الطفل الهامِل والمهمَل، أو أن أكون المستفزّ الأوّل لهؤلاء "الآخرين" بالشِّعر ! وفي كلا الحالين أشيرُ بأصابع اتهامي إلى نفسي. أرفضُ أن يكونَ الحدثُ هامشاً قد لا يصله أحد، وأرفضُ أن

تكونَ القصيدةُ واضحةً بغية أن تطرق على رؤوسٍ، وإن كان الهدف، التغيير أو الشهادة. ربّما أفضى هذا الرفضُ بي إلى قصيدةٍ لم أصلْ إليها، تشكّلها أصابعُ فنّان، وتفجّرُ ذاتها كقنبلةِ مقاوم، فالأبوابُ التي أخرجُ وأدخلُ من إحداها إلى آخر لم تنتهِ، وأؤمنُ أنّها ستقودني إلى قصيدةٍ تثيرُ الوهم واللايقينة والمطارق لكلِّ من يضعُ يدهُ على يدها. يكفيني أن أخدش، وأن أنسى.

أرى الشِّعرَ نهراً ينبعُ من الجميع، ويحاولُ أن ... وقد لا يصلُ إلى الجميع. أراهُ رصاصة الرحمة التي نطلقها على رؤوسنا بعد أن أمسينا العقلاء الوحيدين في عالمٍ مجنون يشهرُ علينا بنادقه بعد أن أشهرنا في وجهه الزنابق. وأراهُ الوردةَ التي نلوّنها ونتركها للقادمين ليعطّروها بتذكّرنا. أراهُ ولا أراني إلا وأنا أمارسُ الهجرة منهُ وإليه لأحتفظ بقدرتي على الحركة. كلّما وضعتُني في أعماقه، عدتُ لي، فوجدُتني سواي. هذه ممارستي في الشِّعر، أنكرُ ذاتي قبل أن ينكرني الآخرون، وأستجمعُ أنانيّتي فيه، بقدر اهتمامي بأن أوزِّع محبّتي علينا، نحنُ الشبّان، بعدلٍ لا نجيدُ أن نسألهُ من سوانا.

Snow woman

فِي أوَّلِ الدفءِ، فِي ذروةِ الجسد...

أنزلقُ على كثبانِ كآباتنا، لعلّ ساعةَ الرملِ المكسورة فِي أعالي قلبِكِ، تكفُّ عن التهشّم، وتندلق القطاراتُ والمستشفياتُ منها كدمعةٍ كبيرة...

تتلفّعينَ بشتاءْ، وتتخذلينَ بلفظة...

لكنني أجدُكِ فجأةً تصنعين طاولةً قرب الموقدِ..

و كنجّار محترفٍ..

يعلو أذنكِ قلمي الصغيرُ ..

و من نهايته تتدلّى قصيدةٌ لن أكتبها...

أدعوكِ لنحتسي الليل، فترسمُ لكِ القصيدة نظارة بإطارٍ غليظٍ، ويمسي شعرُكِ أقصر، حدَّ أن لا موسيقى تصدرُ عن انسدالهِ فِي نهر شهوتي

ستمنعكِ عنّي وظيفتـُكِ الجديدةُ كمزهريّةٍ على مكتبِ الربيع !

***

كان السراجُ يتأرجحُ على قامةِ ريح..

و يخرجُ الدخانُ من شالٍ تستنشقهُ الأرض...

وكنّا متأخرين حين دخلنا الحادثة، نحنُ الصغار. لم يسبقنا غيرُ اللهِ والمعلّمُ.

كنتُ أقتربُ، وأقفزُ كثيراً على الأزمنةِ، لئلا أدوس على معنى وجودكِ..

فقد علّموني أنّهُ هشٌّ وينخفضُ في أيّام البكاء...

ولم أحفظ الدرس

إذ كنتُ أتأملُكِ خارج نافذة الصف حين تكونُ روحي أشفَّ منها..

وعلى نقوش الرحلات حينَ تكونُ للشجرةِ رسائلُ لم تفكِّرْ بها لحظة السقوط...

ظلُّكِ مصنوعٌ من رجالٍ تسقطين عليهم في المطر، وأطفال يطلقون صلواتهم في أنحائكِ، ونساءٍ يرفعن ثقلَ أنوثتكِ بالأدعية...

وغضاضتُكِ تكسوها تضاريسُ كرمةٍ، وتعصرُها انحناءاتُ جسد.

أمّا عنقكِ، فكانَ الذي علّم الوردةَ الأنفاسَ كلَّها.

قضمتُ تفّاحاتكِ، فكبُرت. صرتُ أنا، الشاعرَ الذي طردتهُ الحياة...

لذا كنتُ أصرخ أمام التلاميذ :

صدّقوني ...

كلُّ ما في الشِّعر...

أنَّ الضوءَ يسقطُ ما بين نهديكِ، فيكونُ سراجاً

وأنّكِ ترقصينَ عاريةً على مسوّدةِ قصيدة، فتتنفّسُ الأرض أثوابكِ الملقاة !

في خبزي اليوميّ، في رائحة النهد، وبكاء الوردة، في شهوات القدّاح، وثورةِ العصفور، وفي القدح، في النافذة، في منامتكِ البنفسجيّةِ، في الليل، وفي حظِّ البعوض من جلدكِ، في دمائكِ، دمائي، في الممرِّ الذي شاهدتني فيهِ كلُّ النساءِ...

رأيتُكِ ...

رأيتُكِ ...

كلّما طرأتْ مرآةٌ، وكلّما اقتلعتُ أصنامكِ الدقيقةَ من خلاياي وضحكتُ بوحشيّة..

لكنّ الوثنيّ الذي يسكنُ روحي، كان يتمرّغُ في لزوجةِ عناق، فيفسدُ عليّ الصورة. شاهديني: سحقني ضيقُ العدسة، ودخلتُ مساماتكِ بلا تذكرة !

أحبُّكِ ...

مستلقيةً على وعدٍ أتلفتهُ، وعلى آهةٍ أطلقتُها خلفكِ، فعادتْ مضرّجةً بالأنين...

أحبُّكِ متّكئةً على صلواتي التي لا أذكرُ فيها إلا زُمرُّدَ عينيكِ.

أحبُّكِ...

وأنتِ مثلما الأمُّ...

تقفين عاقدةً ساعدي غيابكِ في انتظاري

وتذوبين كـ"امرأةِ ثلج" ...

2011-10-24



كراهية

أكرهُ الطائراتِ..

مقطوعةَ الخيطِ، عاليةً، وسوداء في دمعةِ الطفل الواقف في أغنية حزينة.

أكرهُ البحر ..

يتدفـَّقُ في إعلانِ الفيلم، ويتجمّدُ في النهايةِ حول أصابعِ عاشقِيْن.

أكرهُ النساء..

يَنَمْنَ تحت قلبي الوارف، ولا يستفقنَ إلا بعد أن أخونهنّ في الذاكرة.

أكرهُ العاشقات..

لا لأنهنّ يعشقنَ المرايا أكثر من الموعد، والظلَّ أكثر من صاحبهِ..

أكرهُ العاشقات لأنهنّ يعشقن الرجل الآخر دوماً...

والنافذة أكرهها وهي مفتوحةٌ على مصراعيها حينَ للأحبَّةِ شتائمُ سأم..

و أكرهُها إذ تغلقُ نفسَها، بحجَّةِ أن للصلحِ باباً مشرعة..

أكرهُ الناس كذلك..

يطلقونَ نواياهم في الضوء باحثةً عن رغيف، لكنهم دائماً ما ينتهون بأكل بعضهم تحت أوّلِ قطرةِ ليل !

وأكرهُ الرجلَ، يضعُ فخاخ الفرحَ في قلبه كي يغري المرأة..

ثمّ يغلقهُ عليها بالحزن كي يغري غيرها..

أكرهُ الميسورين، حينَ يتّكئُ على أسمائهم أبناؤهم، وحينَ ينكرون بعضهم مع أوّلِ رصاصة.

و أكرهُ الفقراء، يلوكون الحجارة ولا يكسرونَ بها زجاجَ عيونهم المتأمّلة..

أكرهُ كثيراً من الأشياءِ، جيّدةً وسيّئة، لا يجمعها شيءٌ سوى أنني أكرهها

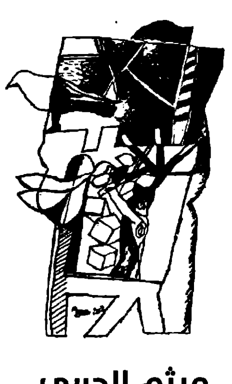
منها الشعراء، وهم يموتونَ على قارعةِ قصيدة

و أكرهُ القصيدة، هذه القصيدة، لأنها مليئةٌ بالتداعي والكراهية

ولأنّها مصنوعةٌ من قصائدَ لم تكتمل، ورسائلَ كتبتُها لامرأةٍ من الورد،

فاحتْ على شبابيك آخرين.

* شاعر من مواليد بغداد 1989، له مخطوطتان شعريتان تنتظران الطبع، أسهم في العديد من الفعاليات والجلسات الشعريّة في بغداد والبصرة وأبو ظبي، وظهر اسمه أولاً في أصبوحات نظّمها اتّحاد الأدباء والكتاب في العراق العام 2008، ومن ثمّ في فعاليات لبيت الشعر العراقي العام 2009 الذي صار لاحقاً عضواً في هيئته الإدارية العام 2013.



ميثم الحربي

أن تحفظ للعدم ماء وجهه

1

إن السهلَ والصعب في الشعر، أنهُ مدى فني تُدير تناغمه جملة معايير على سبيل الاستنارة بها وليس على سبيل الخضوع لصرامات ومحددات مغلقة. ومن هذا قد يظنّ أحدهم أن مناطق ارتياده الجمالية سهلة اللمس والاختراق. وفي الوقت نفسه أنه يحب الانطلاقة من تجربة تجلس خارج النص وتمثل هويته وحياته ومصيره.

ومن هذا المزيج.. من الحثّ على إنتاج نص، تتأتى الصعوبة. صعوبة أن تكون فواعل لغته (بيتاً للوجود) كما يقول مارتن هايدجر. إذن الشعر يطمئن لوجود معايير.. آراء.. تصوّرات.. اكتشاف بُنى.. قابلة للحركة بما أنها ماضية في التطوّر، والتغيير، والنّماء.

الشعر واحد من الخطابات الجمالية تحت مظلة الفن الكبرى. وبما أن الإنسان يحمل في كيانه بعداً جمالياً لا يمكنه التنازل عن الشعر كاتباً ومتلقياً ومتذوقاً عادياً؛ لأن الجمال الفني وسيلة إنقاذ، ومرتقى إنساني. يقول الأديب الروسي ديستوفيسكي: (الجمال خلاص العالم)؛ لذلك بقي الشعر منذ طفولة الشعوب

صديقاً أميناً للحيوات والآلام التي تستثمرها أدواته وحساسيته لتضميد مأزق الإنسان في كل مكان وفي كل عصر. ومن هذا السحر يأتي التوله بالشعر والتعلق به كأم وكأرض وكذاكرة تحفظ للوعي الجمعي سلامه الروحي وتحميه من الهلاك، وتتقدم به نحو القيم الإنسانية الحقيقية والعادلة.

ولكن التوله والتعلق به أمر. وعملية خلقه وصناعته وكتابته أمرٌ آخر؛ لأن خيار ممارسته يعد مغامرة في طريقها الكثير من العقبات والمعادلات الصعبة.. فأن يضع أحدهم نفسه- استناداً لمقولة ديستوفيسكي- بمرتبة منتج للجمال ومخلص للعالم، فهذا يعني أن يشقق أغلفة الأشياء ويعرف بحس عال ماذا يعني الألم ؟ وكيف يواجه الشراسات التي تعترض طريقه بأدوات مواجهة ناعمة ومخملية قادرة فقط على أن تنتصر. وفي تصوّري أن الحلم الدائم للشعر هو الربح من النزالات الدموية التي يضعها الخراب التاريخي والثقافي والاجتماعي أمامه. هكذا يريد أن يحقق مصيره ولن يتراجع أبدًا عن رغبته الجموح في مقابلة الغد وعناقه والحفاظ عليه. إن الشعر كتابة متخيلة تستمد قوتها وديمومتها من الواقع، لا تطابقه تماماً لكنها تشبهه عندما تحاكيه عن طريق علامات النظام النحوي للغة وزيها التركيبي، والبلاغي.. وتقترب منه متى ما صارت لها القدرة على النفاذ ونقل الواقع للمتلقي باللون، والطعم، والرائحة. على الشاعر إضافة إلى الموهبة السعي إلى امتلاك حواس مضاعفة يستتشعر بها التفاصيل الصغيرة والكبيرة، تخلقها حاسته، ثم تصنعها أداته، ثم تعرضها كتابته. وعلى كل حال فإن الهاجس المحرك لكتابة الشعر بوصفه مجالاً فنياً مادته اللغة، يكون جماع توترين، الأول: قادم من عالم التجربة الحياتية بمواقفها اليومية، من خلال تلقيها عبر الحواس، أو جعل الحواس نفسها في خضم ما تعيشه أو تعانيه هي. والثاني: قادم من التجربة في عالم الأفكار والقراءة وفهم المواقف والمراحل التاريخية على نحو معين. وأظن ظناً يشبه اليقين أن هذين التوترين هما الرافدان النهائيان لمن حسم خياره في إنتاج الحركة الإنسانية بالكلمات الأدبية، لمن حسم خياره بالنظر إلى الوجود بأنه علاقات شعرية تحتدم أمامه، أو هو يكون مادة منتبهة تأخذ مكانها وزمانها وأداتها في عالم الاحتدام هذا، ثم الخروج من كل ذلك من فتحة اللغة، والإسهام في زيادة رحابة الجمال سعة. إن التلذذ الذي نشعر به من خلال الكلمات، هو أن الشاعر كانت له القدرة على سبقنا إليها عبر مشهدياته ورؤاه للواقع، وتسليمها لنا على شكل دهشة محملة بشحنات تتوالد نتيجة

تراكم واحتدام كذبها الفني من جهة، وصدقها الحياتي من جهة أخرى. فمعمار القصيدة مهما كان مليئاً بألوان بلاغية عدة، فإنها ستكون كلها باهتة وليست ذات حضور وجدوى إذا لم تكن حاملة لشحنة جوهرية هي: الصدق، فبالصدق الذي يتولد من الحركة الداخلية للمعنى الذي تنتجه العلاقات النحوية بين الكلمات سينتج النص وصوله وملامسته للجوهر الإنساني. وستكون فيه الإضاءات خالقة للحركة والحياة، وفاعلة في إقامة علاقة أليفة مع أي نوع من الجمهور.

2

قصيدة النثر مجالي في كتابة الشعر، أريد لها أن تكون حرة عبر ما أريد بثه من قيم أحسبُ أني أؤمن بها، وأجدها كفيلة في إنتاج حياة ومعنى ومتن لإنسان الحاضر والمستقبل. ومثلما أريد لمخيلتي أن تكون حرة، أسعى عبر الخطاب الجمالي منطقة تحركي إلى الوقوف بوجه من يسعى إلى مصادرة حرية الإنسان إن كانت (تحرراً) بالمعنى السياسي أو (حرية) بمعناها الاجتماعي. ومن هذا الوحي أجعل قصيدتي تواجه أي محاولة أو خطط لدين أو سياسة أو مجتمع تستهدف تشويه الإنسان ومسخه إلى عبد وإطفاء مكامنه الخلاقة بسجنه داخل الانحطاط والرذيلة. إن أي شعر من هذا النوع يكون ذا منحى انقلابي يستمر في مواجهة البنى الخاطئة للمجتمعات ويحاول تفنيد قناعاتها ومحتوياتها وتراكمها العتيد عبر التاريخ المليء بجدل الحقيقة والصواب ومعارك الرأي المنتصر والآخر المهزوم.

3.

في عراق اليوم يواجه الشعر أسئلته الجديدة التي فرضها التحول السياسي الكبير الذي حدث عام 2003. هذه الأسئلة يضاف لها تلك الأسئلة التي واجهها الشعر في ربع قرن ونيف من الدكتاتورية. فالتغيير من حالة إلى حالة أخرى مازال يعاني من اختلال واهتزاز وفوضى. وعلى سبيل المثال: الخوف داخل ماعُرف بـ (جمهورية الخوف) انتهى، ولكن حل محله خوف من نوع آخر يتمثل في المعركة الشرسة التي يخوضها الإنسان بين ثنائية الحياة والموت.

فالبقاء على قيد الحياة أمام القتل اليومي في شوارع اليوم يشغل المساحة المهة في التفكير فضلاً عن الموت الذهني القادم من التلكؤ العميق في إعمار البنى التحتية للبلد. فمن حروب الدكتاتور في الثمانينيات، وقساوة العيش أيام (الحصار الاقتصادي) في التسعينيات إلى نفق الفوضى بعد 2003، المتمثل بانعكاس شرر (الطائفية السياسية) على التفصيل الاجتماعي، كلها دوامات مازالت تضخ تداعياتها وتسمم المشهد بصورة يومية وفاعلة ومؤذية. فضلاً عن ذلك فإن قصيدة النثر الصاعدة إلى الواجهة لا تجد نفسها معنية في تخطي روادها ومزاوليها السابقين ؛ لأنها تريد أن تعنى بما تواجهه من خرائب ثقافية ومعالجة الإزاحة الأخلاقية الواقفة على منحدر خطير، وهي بذلك موزعة بين اتجاهات ليبرالية أو علمانية أو نزعات إلحادية، مما قد توسم بأنها جَهيضٌ وقح يفكر ويكتب بطريقة انقلابية وبروحية مارقة، تنوسُ بين تأثيرات التاريخ الأيديولوجي لمشغل الشعر في العراق، وبين تأثيرات التاريخ البلاغي له. إن قصيدة النثر الصاعدة تنتمي لمواليد شباب عربي أخرج مفردة (الانتحار) من القاموس وبث الحياة في معناها وحفظ للعدم ماء وجهه. وأمام هكذا مهمة على قصيدة النثر أن تكون مسؤولة لصناعة جمالها الخاص للقضاء على مخلوقات القبح في عالم الأفكار وفي عالم الحياة.

زوايا حادة

تحت شجرة التين

في الباحة المربعة

تلهو الطفولة بمكعباتها

تضعُ كلّ غرابةٍ في مكانها بعناية

وتبدأ بالضحك على فلاسفةِ البناء

تُسمي النتوءَ صاروخاً

والاعوجاج عشاً

وهذا المثلث البارز ديكاً

كأنّ للطفولةِ خيالَ حروب حدثت

أكلت قرية الديك، وعبثت بالزغب

هكذا، كلّ يوم

من نافذتي المستطيلة

أتأملُ باحة البيت المربعة

يدور بصري حول زمان المكان

ويحلم بعالم شجرة تين قديمة

قد ينبتُ

من مجردِ إسمنت



للألوان دمُها النهائي

دمُ الصبح الأبيض

يتعثَّرُ في العراء، ويلتصقُ بفمه المفتوح

من شدة التنزه داخلَ الحلم

دمُ الطائر الأزرق

يخمشُ وجه الأفق كلما يهوي

وينسى أظافرَهُ تشعُّ

فوقَ الرياح

دمُ الزجاج الذي يتكسّر

نظفت به الغربانُ جوعَها المتربص

دمُ اللافتة السوداء

يملأ لسانَ القماش بلقطةِ الغياب

دمُ الدهشةِ الأصفر

يحاول انتشال الحقيقةِ من طريقةِ تنفسها

وهو ينجزُ تحوّله إلى جثة

دمُ العلاقة بينَ الكلمات

يسقطُ في الهاوية

ويتركُ الكتابةَ فريسةً للصدأ

دمُ اللون الأخضر

بقيَ عشبًا

لم يقفز عليه الامتداد منذ زمن

دمُ الأيام

يقرفصُ في الغابة كأحدِ حيواناتها

يحدقُ باتجاه معاركه، ويسيل

دمُ الصدق

يدوسُ أحدُهم على روعته

لكنه يعفو ويزدادُ سطوعا.. سطوعا

دمُ الضحكِ يتناثرُ ــ الآن ــ من الألم

وهو يقول: للألوان دمها النهائي

وللكارثة أن تحذف ما تشاء

من معنى

* شاعر عراقيّ، مواليد بابل العام 1981. حاصل على شهادة الماجستير في الأدب العربيّ الحديث من كلية الآداب- جامعة بغداد العام 2009، عضو الاتّحاد العام للأدباء والكتّاب في العراق، والأمين العام لبيت الشعر العراقيّ في دورته الثانية العام 2013، صدر له في الشعر:"براءة المطر" العام 2009 مطبعة حداد- بغداد، و "أقول: آه، فتكرّر الكلاب نباحي" العام 2010 دار الغاوون- بيروت، و "لا شيء.. سوى الطريق" 2017 منشورات مركز بيتا للخدمات الثقافيّة- بغداد.

الفهرس

هذا الكتاب، هو وثيقة تخلو من التصنّع والفذلكات، نتركها للتاريخ، قبل أن تضيع الحقائق ويُعتّم وهج مواقع التواصل وما فيه من افتعال وادعاء على الشغل التأسيسي في مرحلة ما بعد نيسان ٢٠٠٣، أعني الأسماء التي تقدّمت إلى المشهد بقصائدها وتطلعها المُعبر عنه في أكثر من شكل، من الذين حلقوا من فوق خرائب كلّ هذه المراحل والمعالم الكارثيّة، الاجتياح الأميركي، والعنف الطائفي، وأصوات الانفجارات، والمدن المسوّرة بالكونكريت الخانق، وأحزاب الفتن والحصص.

لوحة الغلاف والتخطيطات الداخلية: الفنان ضياء العزاوي


ISBN 978-9922-607-02-3